

إحسان كمال

ممنوع دخول الزوجات

• العدد ٢٨٧ • أكتوبر ١٩٨٨ •

الغلاف : أسامه نجيب
الرسوم والماكيت : محمد عفت



إحســـان كمـال

● عضو مؤسس باتحاد الكتاب وعضو جمعية الأدباء ونادى القصة

● نشرت أكثر من ١٨٥ قصة فى أغلب الجرائد والمجلات المصرية وبعض المجلات العربية .

● لها ست مجموعات قصصية « سجن أملكه » عن هيئة الكتاب عام ٦٠ « وسطر مغلوط » عن الهيئة أيضا عام ٧١ و« أحلام العمر كله » عن روايات الهلال عام ٧٦ و « الحب أبدا لايموت » عن روايات الهلال عام ٨١ و « أقوى حب » عن كتاب اليوم عام ٨٢ و « لحن من السماء » عن هيئة الكتاب عام ٨٧ . ولها تحت الطبع مجموعتان « ضيفة الفجر » عن دار المعارف و « خبر بمليون جنيه » عن هيئة الكتاب .

● فازت فى مسابقات نادى القصة عامى ٥٧ و ٦٠

● أهداها المجلس الأعلى للفنون والآداب ميدالية عن أحسن قصص معركة أكتوبر المجيدة عام ٧٤ .

● ترجم العديد من قصصها إلى ست لغات عالمية « الانجليزية والفرنسية والروسية والسويدية والصينية والهولندية » .

● حولت عشرات من أعمالها إلى أفلام ومسلسلات وسهرات تليفزيونية .

• محتويات هذا الكتاب •



طفلان يتناولان العشاء

كان يتناول عشاءه وهو يبكى .. بدون صوت ، كان العشاء عبارة عن رغيف من الخبز الناشف .. رغيف حاف .. اللهم إلا إذا اعتبرنا الدموع التى اختلطت به إداما ! ، أبدا ليس لنوعية الوجبة راح يبكى .. لكنه كان يشعر بالاحباط والظلم .. والمرارة ، الاولاد فى مثل سنه ـ بل وأكبر بكثير ـ يعيشون منعمين .. ينفق عليهم أهلوهم ، بينما يضطر هو ـ ولم يتعد التاسعة من عمره ـ أن يتكفل بنفسه .. يعمل ويكدح كى يأكل ويعيش .. مع ذلك يجد المضايقات والمحاربة فى رزقه .. منتهى الظلم .. ألم يكف القدر أن حرمه من العيش على كد والده .. فيبعث له اليوم من يحرمه ـ فى خبطة واحدة ـ من ثمرة كده هو طوال يوم كامل .. بعد ان تعب وشقىّ وعانى ؟ ! ..

نعم يتعب كثيرا فى عمله .. ويعانى أكثر ، رغم ادعاء صديقه رمضان بغير ذلك .. رمضان يعمل صبى ميكانيكى .. طوال اليوم يعمل بيديه ويروح ويغدو على قدميه .. لذلك يحسده ويردد له دائما :

ـــ يا بختك يا صلاح .. عملك من أسهل ما يمكن .. بائع لعب .. تضع بضاعتك على الرصيف وتجلس قبالتها دون إن تبذل أى جهد .

غير صحيح .. غير صحيح على الإطلاق .. صدق المثل القائل « من يضع يده فى الماء لا يشعر بآلام من يضع يده فى النار » ، ماذا يعرف رمضان وبقية زملائه عن القلق المضنى الذى يشعر به بائع صغير يحس دائما إنه مهدد من شرطة المرافق ؟.. ولا عن اللهفة التى تستبد به وهو يجمع بضاعته على عجل ويسرع بها فور ان

ينادى أحد الزملاء من بعيد « أبو شنب .. أبو شنب » ، أنه لا يدرى .. لماذا تطارد الشرطة الباعة الجائلين ؟ .. وهل يا ترى تكون الحكومة أكثر سعادة لو نفض هذا الجيش من الباعة أيديهم من بضاعتهم واشتغلوا بالنشل أو النصب أو التسول ؟؟ ..

رغم ذلك فمضايقات الحكومة تهون إلى جانب مضايقات الأهالى .. أو الزبائن أنفسهم .. فصال مرير .. وتقليب فى اللعب بغير احتراس مما يعرضها للكسر ، وهو لا يستطيع الاعتراض خشية ان يفقد زبوناً ربما .. ربما اشترى ، لكن أغلبهم ينصرف دون شراء .. بعد أن يكون طفله قد اكتفى وشبع لعبا .. مجانا ! ..

أليس غريبا اختيار صلاح لعب الأطفال لتكون بضاعته ؟ ولكن .. أكان هو الذى اختارها ؟.. كانت نفسه تخيم بالأسى عندما يرى أبا يشترى منه لعبة لطفله الصغير .. وأساريره تنطق بسعادة تفوق سعادة الصغير نفسه بلعبته !، بل حتى من لاتشترى بعد ان تدع طفلها يجرب اللعبة .: مؤكد أن حبها لابنها لايقل عن حب من اشترت . تدرك أن البائع ربما شتمها أو نهرها عندما تترك اللعبة وتتأهب للسير .. مع ذلك لا تهتم ، مادام الطفل سيسعد ، وفى سبيل هذه السعادة تضحى الأم بأى شىء .. بالنقود عندما تشترى .. وبكرامتها عندما لا تستطيع الشراء ، أين أمه وأبوه من كل هذه المشاعر ؟..

لم يكن يطلب لعبا ولا ملابس ثمينة أو مأكولات غالية .. كل ما كان يطلبه هو الأمان بين أحضانهما .. الحد الأدنى لاحتياجات أى طفل ، حتى هذا بخلا به عليه ، انفصلا ليضيع بينهما .. أو بدونهما ، ما أكثر ما أحس كأنه جاء إلى هذه الدنيا بلا دعوة .. فلم يكن فى محيطه من يحتاجه .. أو يريده ! ..

وحتى لو كانت أمه متعبة .. أما كان بوسع والده أن يحاول احتواء مشاكلهما لأجل طفله ؟ وحتى لو كان أبوه قاسيا .. أما كان

واجبا حتميا على أمه ان تروض نفسها على تحمله من أجل فلذة كبدها .. كما تفعل جميع الأمهات على وجه الأرض .. عداها ؟ ، فضلت راحة أعصابها .. ملقية بكل شىء ـ بما فى ذلك طفلها ـ عند مواطىء قدميها ، لماذا على حظه فقط وضعت كرامتها فى المقام الأول .. فى حين أنها الآن ـ ويا سبحان الله ـ تتحمل من زوجها الجديد أضعاف أضعاف ما رفضته من أبيه ، لماذا التعقل أصابها هكذا فجأة ؟ .. كم مرة رآها ـ فى الشهور القليلة التى قضاها معها ـ تبكى بدموع حارة .. فما تكاد تحس بحضور زوجها حتى تسرع بتجفيف دموعها .. بل وتبادر برسم ابتسامة واسعة على وجهها كله !! .

نفس الشىء أيضا بالنسبة لأبيه ، عندما ضاق به زوج أمه وطرده .. كان من الطبيعى أن يذهب للإقامة فى منزل والده ، حيث رأى هناك العجب .. الزوجة الجديدة تغلظ لزوجها فى القول .. وتملى ارادتها عليه وتتحكم فى كل كبيرة وصغيرة فى المنزل .. وفى حياته ، وأبوه يتحمل كل ذلك دون حتى أن يتذمر ! ، وهو هو نفسه الذى طلق والدته على أمور اتفه من هذه بكثير ، وكان حتما ان يأتى الدور على صلاح كى يكون موضوع شجار وخلاف بينهما :

— يغادر المنزل فورا .. وجوده يثير أعصابى .. كما العقلة فى زورى !

وقال رجل البيت « المهيب »:

— سلامتك .. ألف سلامة ، اسمع ياولد .. أمك بك أولى !

وقال صلاح فى نفسه « لا أم ولا أب .. لأدعهما فى سعادتيهما .. ولابحث لنفسى عن السعادة »

هل حقا هو الذى اختار البعد عنهما ؟ .. لايظن .. لم تعتد ظروفه أبدا أن تنتظر موافقته .. وانما دائما تتجمع ضده فلا تترك له إلا الاذعان ، لجأ إلى بعض الأقارب .. ثم الاصدقاء ، مضى ينتقل

بين بيوت هؤلاء وأولئك كأنه حطام مركب غريق تتقاذفه الأمواج .

حتى استقرت به الأمور أخيرا بعد سلسلة من التنقلات مع « حلاوة » .. قريب من بعيد يستأجر غرفة واسعة مفروشة بأثاث بسيط فى ربع قديم .. وافق أن يؤويه معه على أن يدفع نصف إيجار الغرفة ، كما عرفه بالمعلم الذى قبل ان يعطيه بعض اللعب البدائية ليبيعها مقابل نسبة من الربح ..

ومع كل هذا العناء والمناهدة مع الزبائن .. لم يكن ربحه يزيد عن حوالى جنيهين يوميا .. بل وأحيانا كان يهبط إلى جنيه ونصف جنيه فقط ، أهم شىء عنده أن يدفع نصف جنيه لصاحبة الربع التى لا تقبل أبدا التأجيل للغد .. من لا يدفع ولو لليلة واحدة يطرد من غرفته ليبيت فى العراء ، ثم نصف جنيه آخر للجمعية التى يقبضها كل بضعة أشهر ليكتسى منها أو ينفق على بعض شئونه .. وباقى مكسبه اليومى لوجبة العشاء .

يظل طوال اليوم لا يدخل جوفه سوى ساندوتشين أو ثلاثة من الفول والطعمية .. إلى جانب باكو أو اثنين من البسكوت أو قرطاس من الفول السودانى ، لذلك وجب ان تكون وجبة العشاء دسمة .. وليمة ! ، يشترك مع حلاوة وبعض الغلمان من سكان الربع ويحضرون ساندويتشات الكبدة أو الكفتة .. مع أكياس الطرشى وبعض الفاكهة ، وعلى قدر ما يتبقى معه كل ليلة بعد الإيجار والجمعية يكون عدد الساندويتشات الموعودة ، قال له حلاوة يوما :

— لولا هذه الأكلة المغذية لما استطعنا أن نصلب طولنا ونقوم بأعمالنا المرهقة طوال اليوم التالى .. فهى البنزين الذى به نسير ! ..

الليلة ولا نقطة بنزين واحدة تدخل جوفه .. بل حتى الجمعية لم يدفعها .. وكاد يقبل يد المعلمة حتى قبلت تأجيل قسط الجمعية

للغد ، مع أن اليوم من أوله كان يبشر بالرخاء .. قبل أن ينتصف النهار كان قد باع خمس عشرة لعبة ، مكسبه فى اللعبة الواحدة عشرة قروش . قبل المغرب بقليل قدر أن هذا يكفى اليوم .. وان عليه القيام بجمع ما تبقى من بضاعته ليرحل .. لكن .. قبل ان ينفذ ما قرر .. انشقت الأرض عنه فجأة .. شرطى طويل عريض كث الشارب .. صرخ فيه صرخة مدوية :

— قفشتك !! ..

أسرع صلاح يجمع بضاعته فى محاولة للهرب بها بعيدا .. لكن الشرطى يمسك بتلابيبه مؤكدا ان القانون يقضى بمصادرة البضاعة جميعا ، صلاح يصاب بالذعر ويروح يتوسل ويبكى ويستعطف الشاويش بكل عزيز وغال .. الدقائق تمر ولا أمل يلوح فى عفو الشرطى .. القلق ينساب فى نفس البائع الصغير كما جسد ثعبان أملس .. فيزيد من جرعة التوسلات للشاويش الغضنفر .. لكن الأخير يرفض بكل أباء وشمم ، بعد فترة طويله أمسك باحدى اللعب هتف صلاح :

— ثمنها جنيهان .. سأعطيها لك بجنيه ونصف جنيه ..

وكان الرد ركلة من حذاء الشرطى الميرى فى جنبه وهو يردد :

— ما عندكش دم صحيح !!.

أخذ اللعبة ومضى دون أن يدفع فيها شيئا ، جمع صلاح باقى لعبه وقام وهو لا يصدق نفسه بالسلامة . وهو يدفع للمعلم ثمن اللعب المبيعة اضطر طبعا أن يدفع ثمن لعبة الشرطى من مكسبه الخاص .. خشى أن يقول له عما حدث فيرفض بعد ذلك تزويده بأية بضاعة على زعم ان خيبته وعدم نصاحته يمكن أن تتسببا فى ضياع اللعب كلها ..

الباقى من مكسبه كان خمسين قرشا بالتمام والكمال .. أعطاها لصاحبة الملك حتى لايفتح على نفسه أبواب جحيم غضبها ، وفى

الموعد المعهود بالضبط ظهر حلاوة :

— هه .. كم ساندوتش كبدة تريد اليوم على العشاء ؟ ..

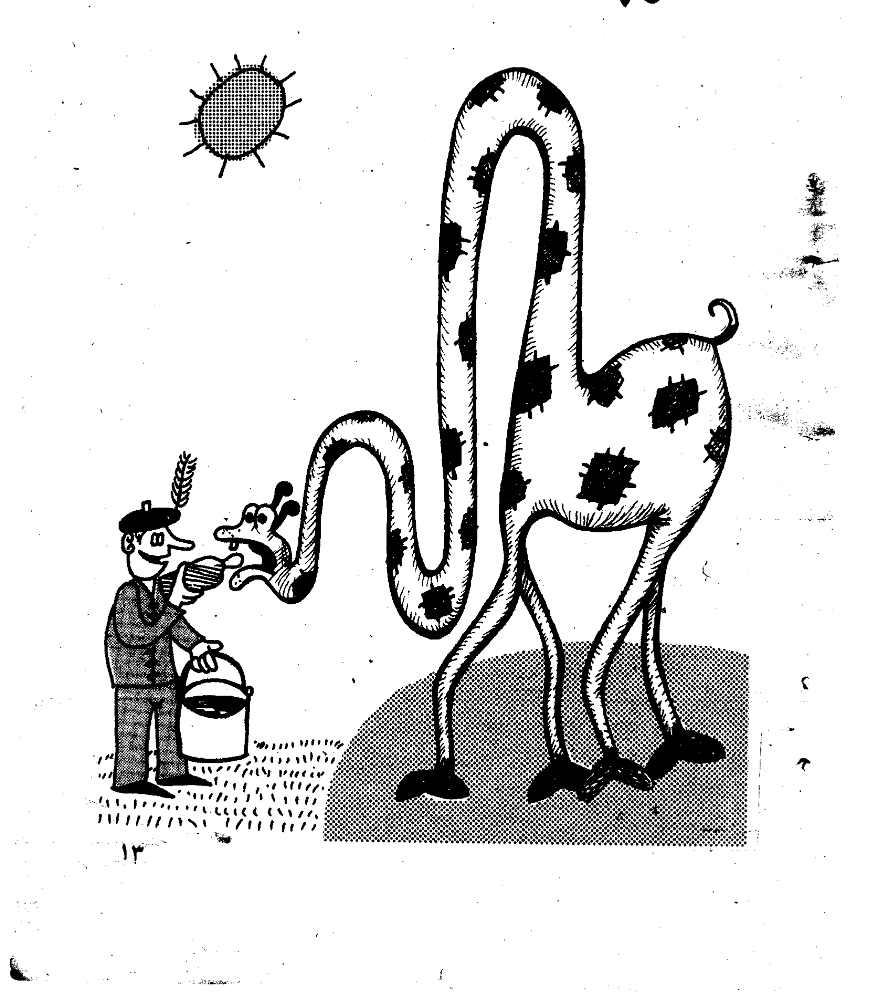
رد بغمغمة لا تكاد تبين وهو يأوى إلى فراشه ويتدثر بالغطاء :

— بطنى يؤلمنى الليلة .. ولن استطيع تناول أى شىء ! .. لكنه بعد انصراف حلاوة لايستطع النوم .. الجوع ينهشه بقسوة ، يقوم من فراشه ويبحث فى أرجاء الغرفة .. وسط العديد من الأوراق وعيدان الجرجير الذابلة وبعض النفايات الأخرى .. التى تخلفت عن عشاء الليلة الماضية ، حتى يعثر أخيرا على شىء يصلح ، يبكى فى صمت .. كان العشاء عبارة عن رغيف من الخبز الناشف .. رغيف حاف .. اللهم إلا إذا اعتبرنا الدموع التى اختلطت به إداما ..

فى نفس الوقت ـ وفى الطرف الآخر من المدينة الواسعة الارجاء ـ كان هناك طفل آخر .. فى مثل سن صلاح تقريبا هو صالح .. ابن الشرطى الطويل العريض كث الشارب ، أعجبته اللعبة التى حملها له أبوه ـ بعد ان اغتصبها ظلما وعدوانا ـ اعجابا لاحد له .. وسعد بها أيما سعادة .. حتى إنه رفض أن يتركها حين بدأ يتناول عشاءه فجلس إلى المائدة وهو يحتضنها ، مضى يأكل والفرحة العارمة تملأ كافة أرجاء قلبه الصغير !

○ ○ ○

مربعـــات الســعادة



لم تكن مهامه تستغرق منه وقتا كبيرا ، ينتهى منها سريعا ليجلس أمام القفص يتأمل فيما حوله .. وعندئذ لايستطيع أن يتمالك نفسه من قول كلمته التى لا يمل ترديدها .. يقولها وهو يخبط كفا بكف .. لبعض زملائه حينا ولنفسه فى أغلب الأحيان :

— سبحان مقسم الأرزاق .. يعطى من يشاء ويمنع عمن يشاء .. بغير حساب !

فعلا المهنة واحدة .. حارس فى حديقة الحيوان .. لكن شتان بين رزق الواحد منهم ورزق الآخر . فترة الغذاء بالنسبة لحيوانات الحديقة .. كم هى فترة سعيدة للبعض وكم هى شاقة للبعض الآخر ، أسعد الكل حقا حراس سيد قشطة وسبع البحر والفيل والزراف .. غذاء هذه الحيوانات تصرفه الحديقة مثل باقى الحيوانات .. لكن حراسها يتصرفون فيه كأنهم اشتروه من مالهم الخاص .. حتى لا يقدموه لآكلية إلا إذا قبضوا ثمنه .. اضعافا مضاعفة !! ..

طبعا الحيوانات لاتدفع ، المتفرجون أو أطفالهم ، ويالها من سعادة تشمل الجميع .. حتى الحيوان .. فهو يأكل والطفل أسعد الجميع قطعا عندما يمسك بيده الصغيرة قطعة من البطاطة ليقذفها فى فم سيد قشطة الواسع .. أو سمكة يطوحها فى الهواء ليتلقاها سبع البحر بمهارة بهلوانية ، أو حزمة من البرسيم الجاف يقدمها للفيل الذى يتناولها منه بزلومته ، أو جزرة يلقمها للزرافة العملاقة رغم ارتفاعها الهائل .. تحنى رقبتها حتى تصل لمستوى

الطفل الصغير ثم تتناول منه الجزرة . ها هو ذا الطفل الذى لايعرف بعد كيف يطعم نفسه ـ وإنما تقوم ماما أو دادة عنه بذلك ـ يتولى هو الآن بدوره اطعام هذه الحيوانات الضخمة .. فيالها من سعادة !!

تلك السعادة التى تتلألأ نورا وسناء فى أعين الأب والأم فيفتحان كيسيهما ويغدقان على الحارس الهمام ، أو الضلع الأخير من المربع .. مربع السعادة الكى تلف الجميع بعباءتها الفضفاضة ، من يأكل ومن يقدم الأكل وهو يصفق جذلا .. من يدفع .. ومن يقبض وهو ينحنى بالتحية ! ..

أين هو من كل ذلك المولد ؟ كان المفروض أن يكون ملك الحراس .. أليس هو حارس الأسد . ملك الغابة ، مع ذلك فلاسعادة ولا تصفيق ومرح وقهقهة .. ولا تحيات ولا ـ وهو الأهم ـ ولا شلنات تنهال عليه من كل جانب حتى ليضطر لأن يفتح ذراعيه عن آخرهما كى يجمعها ! ..

لكم تمنى كثيرا لو نقلوه لحراسة أحد الحيوانات الأخرى .. الداخلة .. أو على الأصح المكونة لمربعات السعادة ، بل طلب ذلك من رئيسه فعلا .. أكثر من مرة لكن الأخير كان دائما يرفض . من الأهمية بمكان صلة الألفة بين الحيوان وحارسه .. وكما بدا واضحا كان الأسد يألف عويس جدا .. بل ويحبه ، وليس من السهل تدريب حارس آخر على عادات الأسد وطباعه وطريقة معاملته .. أيضا ليس مضمونا ـ حتى لو قام بكل ذلك التدريب لحارس جديد ـ أن يحبه الأسد بمثل قدر حبه لحارسه الأثير عويس !، وكان هذا يردد لنفسه :

— يافرحة قلبى بحب الأسد .. ذلك الحب العقيم الخاوى الوفاض !

الحقيقة مرة .. ولذلك يحاول الناس أحيانا أن يغطوا مرارتها ببعض الملطفات ، أما وهو يحادث نفسه فلا ضرورة ولاداعى لأى

تطليف أو تزويق .. المال هو كل شيء في هذه الدنيا ، هناك من يقول الصحة أو هناء البال أو الحب حسنا .. فالمال - في أحيان كثيرة - يأتي بكل ذلك ! ..

وماذا يفعل مرتبه في هذه الأيام العصيبة ؟ . يكفي الضروريات فقط .. وبالتالي ينبغي على أطفاله أن يشطبوا من قاموسهم جميع اسماء اللعب والحلوى والملاهي ، وزوجته .. عليها أن تنسى تماما أن هناك أشياء تدعى حليا أو أقمشة مستوردة إلخ ..

ترى هل فعلوا ذلك حقا أم تظاهروا به أمامه فقط ؟ . لايدري .. وكل الذي يدريه أنه هو نفسه لم يستطع أبدا أن يخرج الدراجة البخارية من دائرة أحلامه .. كما فعل بالنسبة لاشياء كثيرة كأطايب الطعام وثمين الملابس وغيره وغيره ..

استطاع أن يسكت شوقه إلى كل هذه الأشياء بل أن يبعدها كثيرا عن إطار تفكيره ، لكنه فشل تماما بالنسبة للدراجة البخارية ، تكاد عيناه تخرجان من مجريهما خلف كل واحدة منها تسير - بل تجري بهذه السرعة الهائلة على الطريق ، في المرات القلائل التي استعار فيها دراجة من أحد معارفه ليركبها فترة وجيزة .. كان يخيل إليه أنه يمتلك بساط الريح المسحور ، وهو يمسك مقابضها فيحس كما لو كان يقبض على أعنة السحاب ! ..

بيد أن تطلعه إليها لم يكن إرضاء لهواية ومتعة يشعر بها أثناء قيادتها وحسب .. لكن لمصلحة وحاجة أيضا ، فما أشد عناءه وعذابه في الانتقال من منزله في المطرية .. إلى مكان عمله بحديقة الحيوان في الجيزة ، لذلك كانت رغبته تتأصل عنده وتمتد جذورها .. ويشتعل أوارها في نفسه مرتين في كل يوم ! ..

— آه لو امتلكت واحدة ؟ ..

يقولها وهو ينزع نفسه من دفء فراشه في عز حلاوة الرقاد قبل السادسة صباحا حتى يلحق بعمله في الثامنة ، ويقولها كلما ألمته

ساقاه من طوال الوقوف انتظارا لاتوبيس خطه اليتيم ، ويقولها أيضا بعد الركوب محشورا وسط عشرات الأجساد حتى لتكاد أنفاسه أن تزهق .. لدرجة انه فضل فى إحدى المرات أن يتعلق بالسلم لكنه أصبح كالمستجير من الرمضاء بالنار .. حيث كاد لشدة ألم يده القابضة على الماسورة أن يفلتها فيسقط !، ويقولها حين تبدى زوجته رغبتها فى الخروج مساء لزيارة بعض الأقارب أو للسينما .. لكنه لا يستطيع لشدة تعبه فى رحلة العودة من عمله أن يرد عليها حتى بالرفض ! ..

× × ×

لقد فكر فى كل الطرق التى رأى معارفه يتبعونها لزيادة دخولهم .. لكنه لم يكن يملك مالا يتاجر به .. ولا وقت فراغ اطلاقا يمكن ان يعمل فيه عملا اضافيا ، صحيح أن أغلب ساعات نهاره فراغ .. إلا أنه مرتبط بالبقاء فى الحديقة حتى غروب الشمس ، فأى عمل إضافى يستطيع القيام به داخل الحديقة ؟ ! ..

فى الجرائد .. قرأ الكثير عن الدخول الطفيلية التى حققها البعض .. لكن مع الأسف .. لم يكن أى منهم يعمل حارسا فى حديقة الحيوان .. حتى يحتذى به ، فإذن .. لم يكن أمامه سوى فكرته القديمة .. التى ما فتئت تلح عليه حتى تشبع بها ، لم يكن من عادة أى حارس سابق للأسد أن يجعل الأطفال يطعمونه .. لكن ماذا لو بدأ هو ريادة هذا الطريق ؟ ماذا لو أعمل فكرة قليلا ليذلل بعض الصعاب التى بعدها يصبح المستحيل أو الشاذ ممكنا ومقبولاً ؟ .

وبدأ يمهد لفكرته ، لم يكن الأسد ليقبل على طعامه إلا إذا اعطى إليه مرة واحدة .. وعلى شكل كتلة ضخمة واحدة .. فى مكان منزو ، فأخذ يمنع عنه الطعام فترات طويلة ليشعر بالجوع .. ثم يقذف اليه بقطع صغيرة من خارج القفص .. أهملها الأسد ازدراء فى أول الأمر ، حتى إذا ازداد جوعه بدأ يلتقطها ويلتهمها ! ، وهكذا بشىء

من التدريب والصبر روض عويس الأسد على أن يأكل على طريقة القردة والنسانيس !!...

ثم بدأ يجذب الأطفال .. ويغريهم على إطعام الأسد .. لكن ليس مقابل قرشين أو خمسة .. بل عشرة قروش كاملة !، ليس الناس فقط مقامات .. الحيوانات أيضا .. والحيوان هذه المرة هو الأسد .. ملك الغابة ، واطعامه عملية مثيرة .. جريئة .. وغير تقليدية ..

وتكررت العملية عدة مرات في ذلك اليوم .. وتكرر اليوم بدوره مرات ومرات .. حتى اكتمل الشهر .. وبعدها تكررت الشهور أيضا .. وهكذا انضم عويس إلى الحراس الذين يشتركون في تكوين مربعات السعادة .. بل كان مربعه هو بالذات .. أطرف هذه المربعات وأكثرها بهجة ! ..

بمرور الأيام أصبحت العملية أسهل .. بل بدأ يدخل عليها بعض الأضافات والتحسينات والمشوقات .. كان يرفع الطفل يده بقطعة اللحم إلى أعلى فيقف الأسد على قدميه الخلفيتين ، إلى غير ذلك من الحركات ، في أول الأمر كان متخوفا .. حتى إنه في نهاية كل يوم كان يتمتم لنفسه بعد أن يحمد الله كثيرا :

— لم يحدث ما يكدر .. حتى الآن .. فماذا يا ترى عن المستقبل ؟ ..

لكنه بمضي الأسابيع الأولى على خير بدأ يهدهد مخاوفه :

— ما دمت قد استطعت أن أجعل الأسد يستأنس بعض الشيء هكذا .. فإنه قطعا سيكرر « دائما » .. وعلى طول الخط .. نفس حركاته وتصرفاته مع الأطفال الذين يطعمونه ، بحكم الترويض والتعود .. حيث المعروف عن كافة الحيوانات انها اذا اعتادت على نمط أو سلوك معين ظلت بعد ذلك تمارسه وتسير على منهاجه طوال حياتها ..

مع ذلك فإن جزءا صغيرا داخل نفسه ظل على هواجسه ورفض ان يطمئن .. رفض ان يقتنع ، بل راح يحاوره ويصحح له بعض الفاظه فيرفع كلمة « دائما » ويضع مكانها كلمة « غالبا » نعم ليس دائما .. كان فى حسبانه باستمرار أنه قد يأتى يوم ويغدر الأسد بدون أسباب .. أو لأسباب لا يعرفها مخلوق ، طول الوقت كان على باله ما فعله أسد السيرك مع مدربه « الحلو » ، رغم طول العشرة والألفة .. وبعد تكرار الحركات مئات المرات .. ولسبب لم ولن يستطيع أحد أن يفهمه .. وثب عليه وافترسه !

وهل ينسى احد مظاهرات القاهرة من أعوام ؟ ، تلك التى أطلق عليها البعض انتفاضة شعبية .. وقال آخرون .. بل غوغاء وحرامية ، أسرع عويس يومها ليطمئن على شقيقته بنزلة السمان .. ويا لهول ما رأى .. لو أن زلزالا وقع بحديقته فتكسرت الأقفاص وخرجت الحيوانات المتوحشة .. لما فعلت بالبلد ما فعله الصبية الأبرياء يومها ، تحت أى منطق يخضع تفسير تحطيم الأهالى - الذين يشكون أزمة المواصلات - لسيارات الأتوبيس ؟ وأشارات المرور .. ماذا فعلت لهم ؟ وحتى الجمعيات الاستهلاكية الخ الخ ..

رغم كل وساوسه هذه لم يستطع إلا أن يمضى فى طريقه .. وأنه قرر بينه وبين نفسه أن يصفى هذا العمل نهائيا بعد أن يكتمل له منه مبلغ ثلاثمائة جنيه .. يشترى بها دراجته البخارية الموعودة .. ذلك انه كان قد أخذ على نفسه عهدا ألا يقرب قرشا من هذه النقود .. مهما كانت الاحتياجات أو المغريات ، غير أن سحابة ظللت يوما سماء أحلامه .. وإن مرت سريعا ، عثرت زوجته فى ذلك اليوم على الكيس الذى يحتفظ فيه بكنزه ، وفى الحال قدمت له قائمة تحوى العديد من الطلبات .. كلها هامة .. وعاجلة .. ولا تقبل التأجيل أو الارجاء !

لكنه كان حازما ، لم يجازف كل تلك المجازفة كى تأتى هى آخر الأمر - وبمنتهى السهولة - لتبعثر نقوده ذات اليمين وذات اليسار ، ولم يكن من السهل كبح جماحها .. رغم أن والدها عودها على ذلك ، يذكر جيدا الفترة التى كان يشترى لها فيها جهاز عرسها .. حيث كانت كلما طلبت منه أشياء اضافية صرخ فيها :

— هل تظنيننى أغترف النقود من فوق التل ؟.. اننى استخرج القرش من بين أنياب الأسد !!

ضحك وهو يتذكر هذه الجملة .. التى أصبحت لكثرة ما رددها حموه من كلماته المأثورة ، رغم مبالغته الواضحة ، كان تاجرا .. كل يوم برزق جديد ، أى لم يكن فى الأمر أنياب أسد أو حتى انياب قطة ! . هو يستطيع أن يردد هذه الجملة دون أن يكون مبالغا .. بل وسيكون الأسد حقيقة لا مجازا ..

عموما هى كلمة ولا محل للمناقشة .. هذه النقود من أجل هدف سام ، لقد قرر ذلك ولن يتزحزح عن قراره قيد أنملة .. ولتحشد كل أسانيدها .. ولتصرخ ما وسعها الصراخ .. فهى تصرخ فى واد .. شديد الاتساع ! ..

وأخيرا .. أخيرا جدا . اكتمل المبلغ ، وذهب إلى المحل الذى سيحصل منه على أمنية عمره ، بيد أنه لم يجد لديه واحدة جاهزة بالمواصفات التى يطلبها ، ووعده صاحب المحل بأنه لن يمضى اسبوع أو أسبوعان إلا ويكون قد دبر له طلبه .

لكنه لم ينفذ عهده مع نفسه .. لم يستطع انهاء العملية التى قطع فيها شوطا طويلا .. عملية اطعام الأطفال للأسد ، للمال اغراء والنفس نادرا ما تقنع أو تكتفى .. أم أن أضلاع مربع السعادة كانت جد محكمة حتى صعب عليه الانسحاب منها ؟

لم يكن الاسبوع الأول من المهلة التى طلبها صاحب محل الدراجات قد انقضى ، حتى وقعت الواقعة .. فى لحظة خاطفة

كومض البرق ، ملك الغابة .. الذى سبق وتناول طعامه من أيدى مئات الأطفال .. ثارت كرامته يوما لهذا الهوان الذى انحدر إليه .. وكان احتجاجا عمليا .. أليس الأسد .. ملك الغابة ؟ . التهم مع قطعة اللحم نصف كف الطفل الذى كان يقدمها إليه !

نفس الصورة التى طالما طافت بخيال عويس .. عشرات المرات ، فى النوم واليقظة .. وكان يكفى أن يهز رأسه أو يطرف بعينيه حتى تختفى ، هذه المرة لم تفعل .. هز رأسه ودعك عينيه .. قرص خده عدة مرات .. لكن الصورة كما هى .. الدماء تملأ الأرض أمام القفص .. والصرخات تتعالى تخترق رأسه .. الناس تتجمع .. اللغط والهرج والمرج .. فى حين راحت أعماقه تتساقط فى انهيارات يكاد سمعها يصل لأذنيه .

عندما نطق وكيل النائب العام الجملة التى أنهى بها تحقيقه معه :

— يفرج عن الحارس عويس عبد الله شديد بكفالة قدرها ثلاثمائة جنيه .. دهش هذا الأخير .. هل كان الوكيل يعلم بالضبط مقدار ما يملكه ؟!، حين وضع لأول مرة فى قفص الاتهام .. راح يدير عينيه فى الحاضرين بذهول وقد بدوا له وكأن وجوههم قد تحولت إلى تماثيل شمعية متجمدة ، فجأة بدأ يضحك بشدة وسط دهشة الموجودين ، الذين لم يستطيعوا قط معرفة سبب هذه الضحكات ، وكيف كان يمكن أن يصل تفكير أحد إلى أنه كان يقارن فى دخيلته بين مربع الحديد الذى يحيط به « قفص الاتهام » وبين مربعات السعادة .. التى تحققت له أخيرا بعد ان ظل يحلم بها طويلا ؟ .

● ● ●

الحفلة الكبرى

صوت فرقعة دوى فى الغابة .. أسرعت جموع من مختلف الحيوانات صوب الصوت لتتبين سببه ، وجدوا شجرة ضخمة مقتلعة من الأرض .. وقفوا مندهشين .. كيف يمكن أن تقع مثل هذه الشجرة ؟ قال أحدهم :

— لا شك عاصفة الأمس زعزعتها ..

فجأة صرخ قرد : نقود !!..

نظروا حيث أشار ليجدوا حقيبة كبيرة انخلع غطاؤها وظهرت بداخلها رزم من الأوراق المالية .. على مايبدو أن لص خزائن أخفاها تحت هذه الشجرة حتى يخرج من السجن أو يتمكن من الهرب . قال أكثر من حيوان « ما معنى نقود هذه » رد القرد :

— إنها شيء مهم جدا عند الانسان .. لقد شاهدت منذ ربع ساعة فقط رجلا يمسك بمسدسه فى وجه رجل آخر وهو يقول له « إعطنى النقود بيدك بدل أن آخذها من جيب جثتك » ..

سأل حيوان آخر : يا إلهى .. تعنى أنه كان على استعداد لقتل زميل له من أجل هذه الأوراق ؟

وقال حيوان ثالث : إنها إذن لتكون شيئا بالغ الأهمية .

وقال حيوان رابع : ليتنا نعرف فيم يستخدمها الإنسان . ربما استفدنا منها نحن أيضا ..

تساءل حيوان سادس : أين ذهب ذلك الإنسان بعد أن أخذ تلك الأوراق من زميله .

رد القرد : ركب سيارته وسار من هذا الاتجاه ..

— إذن فلنحاول اللحاق به لنرى ماذا يصنع .

انطلقت من الغابة قبيلة من الحيوانات تسير فى الاتجاه الذى أشار إليه القرد .. مقتفية أثر السيارة التى يركبها ذلك الانسان ، كانت القبيلة خليطا من أنواع متنافرة من الحيوانات .. مكونة من مجموعات من العجول والأرانب والذئاب والحمير .. واللبؤات والثعالب والبغال والببغاوات .. والتيوس والقرود والثيران والطواويس .. والخنازير والنمور والحيات الناعمة الملمس.. والطيور وغيرها ، لم يكن صعبا على هذه الحيوانات ان تلحق بالانسان وتتعقبه حتى وصل إلى فندق من أفخم فنادق المدينة ..

أمام شباك فى المدخل اخرج بعض النقود وقدمها لانسان آخر يجلس إلى مكتب انيق .. ليتناول منه بدلا عنها عدة أوراق اخرى .. خرج بها سعيدا ، وتتبادل الحيوانات النظرات فيما بينها بدهشة .. أخيرا تقدم إحد الببغاوات من الإنسان الأنيق وساله :

— ماذا أخذ هذا الانسان مقابل النقود التى أعطاها لك ؟

— لقد أخذ تذاكر يحضر بها هو واصدقاؤه الحفلة الكبرى ، حفلة رأس السنة ..

— وهل حفلة رأس السنة هذه جميلة ؟ ..

— جدا .. إنها ليلة بألف ليلة وليلة ! ..

— وكم ثمن التذكرة ؟

— مائة جنيه .

— إذن اعطنا مائة تذكرة لنا جميعا ..

— آسف .. لا اعتقد ان إدارة الفندق سترحب بدخول الحيوانات .

تداولت الحيوانات فيما بينها قليلا ليعاود الببغاء الحديث :

— سندفع لك ثلاثمائة جنيه ثمنا للتذكرة .. فما رأيك ؟

كاد الموظف يقفز من مكانه فرحا وأسرع إلى المدير يزف له البشرى السارة .. لكن المدير يحتد عليه :

— هل جننت حتى تدخل الحيوانات إلى الفندق ؟ .. بينما أنا لا أسمح حتى لأى إنسان عادى بالدخول ، وإنما نختار اعلاهم مكانة وأرقاهم تصرفا وأوفرهم احتراما .. وأكثرهم أناقة وتحضراً ! ...

— لكنى أقطع التذكرة لأى إنسان يدفع دون أن أسألة أية معلومات عنه أو ..

وقاطعه : بالطبع ولكن .. هل تعلم لماذا رفعنا ثمن التذكرة إلى مائة جنيه ؟ ..

— طبعا لارتفاع أسعار المأكولات والخدمات والهدايا

— كل هذا حقيقى فعلا لكن الأهم هو أننى بهذا أحدد مستوى الذين يحضرون دون أية أسئلة أو استعلامات فمن يدفع مثل هذا المبلغ لابد انه من علية القوم المرموقين .

نظر الموظف الشاب إلى مديره بانبهار فقال الأخير متفاخرا :

— هذا هو الفرق بين تخطيطات الفندقة الحديثة التى تعلمناها فى معاهد متخصصة وبين الفندقة القديمة .. أى كلام !..

عاد عامل التذاكر إلى الحيوانات معتذرا ، فبدأت تنسحب من الفندق وقد بدت على وجوهها إمارات الإحباط وخيبة الأمل .

عقارب الساعة تجرى خلف بعضها .. مرة أخرى يتغلب الليل .. دار الصراع المحتوم .. ولم يطل .. خر النهار صريعا .. ومازالت العقارب تجرى .. الساعة تدق العاشرة .. وقف مدير الفندق بجوار قاطع التذاكر .. وراح يشير برأسه تجاه الوافدين وكأنه يقول له « أرأيت صدق نظريتى ؟ » فعلا كان المتوافدون على المكان نخبة من أرقى نجوم المجتمع .. يرتدون أفخر بذلات وفساتين السهرة .. وقد تحلت النساء ببروشات الماس .. والجميع يتصرفون بطريقة هى مزيج من أعلى حضارات القرن العشرين وشهامة العصور الوسطى ، الرجال يخلعون عن مرافقاتهم كابات الفراء .. ثم يقدمونها للوصفاء المعينين . بعدها يسرعون إلى الموائد فيسحبون الكراسى لتجلس السيدات أولا .. كلماتهم زقزقة عصافير .. وبسماتهم تفتح أزهار .. ورقصاتهم تمايل أغصان !! ..

ويبدأ السقاة فى توزيع ذلك السائل الأصفر الساحر على الموجودين .. ترى ماذا يفعل السائل بالناس من أعاجيب ؟ وتمر ساعة أخرى .. فينتهى المدير من عملياته الحسابية لتلك الليلة .. ويبدأ يشعر بالجوع .. عندئذ يتذكر تلك المائدة المحجوزة له بالقاعة الكبرى ..

يفتح المدير بالباب فيفاجأ بالرواد فى حالة صخب فظيعة .. يتخاطفون المأكولات - خاصة قطع اللحم - بأصابعهم .. بل ويمدون تلك الأصابع إلى لحم آخر .. حى ! ، بينما يضحك الجميع ضحكات غليظة .. وهم يقذفون بعضهم البعض بالكرات وأدوات المائدة و .. بذىء الكلمات ، حتى ساد القاعة كلها جو بشع من الصراخ والعربدة والعرى والمجون الهستيرى .. بشع .. بشع .. بشع ! . أسرع المدير ينسحب من القاعة ويغلق الباب من خلفه .. ثم اتجه ثائرا إلى عامل التذاكر وصرخ فيه :

— استعد غدا للمثول أمام لجنة تحقيق . أبعد كافة تحذيراتى لك .. تنفذ فكرتك المجنونة بإدخال كل تلك الحيوانات إلى الحفل ؟؟ ، ومما يزيد المصيبة أن بعضا منها حيوانات متوحشة !!

العامل المسكين الذى كان النوم قد بدأ يغالبه يصاب بالذهول .. فلا يستطع الكلام .. وعندما يجد صوته أخيرا يكون المدير قد غادره فبدا وكأنه يحدث نفسه :

— أنا ؟! .. أدخلت حيوانات ؟! . أنا ؟؟ .. لكننى لم أدخل أية حيوانات على الإطلاق !! ..

كان المدير بدوره يسير وهو يحدث نفسه :

— اللغز الذى لا استطيع فهمه هو كيف دخلت الحيوانات دون أن أراها رغم قرب مكتبى من القاعة ! ..

فى نفس اللحظة كانت قبيلة الحيوانات قد عادت إلى مكانها بالغابة ، تساءل الثور :

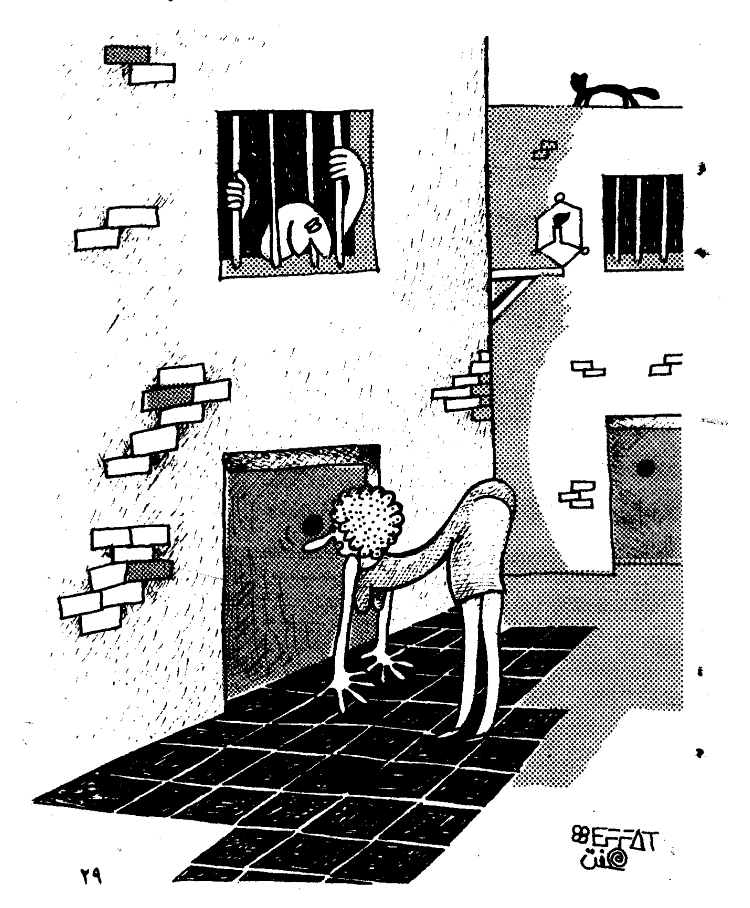
— هل معنى ذلك اننا لن نستطيع الاستفادة من هذه النقود على الإطلاق ؟!

رد الثعلب : بل سنستفيد .. ألا ترون الليلة شديدة البرودة ؟ .. وإذن فبإمكاننا ان نوقد فيها النار فتمنحنا شيئا من الدفء ..

هلّل الباقون استحسانا للفكرة .. ومن ثم خبط القرد زلطتين وأشعل النار فى الأوراق المالية . التفت باقى الحيوانات حولها فى حلقة واسعة .. ومضت تستدفىء وهى فى غاية من السكون والهدوء ، فى حين راح القمر يتألق فوقها .. كما بروش من الماس على كتف فستان سهرة من المخمل الإسود .

★ ★ ★

ممنوع دخول الزوجات



ما كان ينبغى أن تكون صدمتها مروعة لهذه الدرجة ، ماذا كانت تتوقع إذن ؟، أن تمضى سفينة حياتهما فى بحر هادىء رقراق ؟، كيف وقد أساءت اختيار السفينة .. وأيضا المجرى الذى تبحر فيه ؟ ، كانت البداية خاطئة .. فلابد إذن أن تكون النهاية من نفس النوع .

تتعدد الأسباب فى حالات اختيار الفتاة ـ أية فتاة ـ لشريك حياتها .. تبعا لاهتماماتها ، منهن من ترجح الحب .. وغيرها اليسر المادى .. أو المكانة الاجتماعية .. أو الاخلاق والأصل الطيب .. أو .. أو .. أو .. لكن .. هل سمع أحد فى الدنيا كلها عن فتاة تختار شريكها من قبيل العناد ؟ تدافع عن نفسها :

— لم أكن فى حالة عادية .. كنت أمر بفترة يأس قاتلة ! .. لكن ضميرها يواصل اتهاماته :

— وأنت بنفسك التى خطوت إلى هذه الحالة واغلقت من خلفك الأبواب .. حتى لا يلحق بك احد ممن حاولوا الأخذ بيدك .. كافة الأبواب .. عقلك وضميرك واذنيك !..

كفت عن الاستمرار فى الهروب .. حيث الطريق طويل ، إن أطول طريق للهرب هو ما يجريه الانسان بعيدا عن نفسه ، لا مفر من المواجهة .. الحقائق عنيدة .. مثل الصخور الصلدة .

فعلا لم تكن أول فتاة يتزوج والدها بعد وفاة امها ، وقد تأسى أية فتاة تجد نفسها فى هذه الظروف .. لكن ثورة الهام كانت عارمة .. مضت تصرخ :

— كان المفروض أن يظل وفيا لذكرى من وهبته كل حياتها حتى الثمالة .. كان المفروض ان يضحى من أجل وحيدته فيكرس لها ما بقى من سنوات عمره .. الكثيرون يفعلون هذا ..

حاول خالها ان يهدىء من غضبها :

— لكل شخص ظروفه .. ربما هو لا يستطيع تقبل جفاف الحياة دون شريك .. ربما بسبب طبيعة عمله لا يستطيع أن يدير أمور المنزل .. ربما بسبب تدينه لايريد الوقوع فى الخطأ ..

لكنها أبدا لم تقتنع .. من أول يوم ناصبت زوجته ـ بل ناصبته هو نفسه ـ العداء ، دائما حزينة باكية من أجل ان تستعدى ضميره عليه وتحمله إحساس الشعور بالذنب ، لا يكاد يمر شهر واحد دون ان تترك المنزل إلى بيت خالتها لفترة قد تطول اسبوعا .. واحيانا أسبوعين .

الوالد المسكين ظل على حلمه معها .. فلم يقس أو حتى يخشوشن فى معاملته أياها ، قدر ظروفها رغم انها لم تقدر ظروفه .. تخيل انه بذلك يقنعها عمليا بعظم عاطفته تجاهها .. وأنها مازالت الأثيرة لديه ، كان مقتنعا ان الأمر الواقع سيفرض نفسه آخر الأمر .. وأن غضبها لابد سينقشع وثورتها لابد ستخمد مع الأيام .. ككل ثورة وأى غضب ، لكن الشهور تمر حتى تكمل العامين وهى على نفس حالها .. رغم رقة تصرفاته معها .. أو ربما بسبب هذه الرقة .

بل وصل الأمر لدرجة اتهامه انه بهذا الزواج قد تسبب فى تشتيت ذهنها من الاستذكار .. فكانت نتيجتها هذه المتواضعة فى الثانوية العامة .. من ثم رفضت كافة الحلول التى طرحها عليها .. ان تدخل أحد المعاهد العالية أو أن تعيد امتحان الثانوية العامة الخ ، قررت أن تذهب إلى السودان وتلتحق بفرع الجامعة فى الخرطوم ، حاول أن يثنيها عن عزمها بأنه سيفتقدها وأنه لا يستطيع على بعادها صبرا .. لكنها أصرت على رأيها .. مكتفية بالرد على حججه بنظرة

ساخرة جعلته يغض بصره !، أكدت له ان بعدها عن « الواقع » الذى يثير الأسى والمرارة ربما يساعدها على ان تتفرغ للمذاكرة ، عندها لم يجد مناصا من الموافقة .. بل شد الرحال معها إلى هناك لمساعدتها فى تقديم الأوراق وتسهيل الاجراءات .. مؤكدا لها انه لن يعود إلى القاهرة إلا بعد ان يطمئن انها بدأت الدراسة بالفعل .. وانتظمت فيها .. فيما بعد قالت لوالدها :

— كما ترى كان لابد ان أسافر إلى الخرطوم .. وإلا فأين كنت سألتقى بزاهر .. ذلك الشاب الذى قدرت لى الأقدار أن ارتبط به ؟!

هكذا هى .. تتصرف برأيها غير ملقية بالا إلى نصائح أو توجيهات أحد .. وبعدها تلقى تبعة اختياراتها على الأقدار ، فى الخرطوم التقت بزاهر اذن .. فى النادى الرياضى .. ليلقى شباكه حولها من أول يوم .. كعادته كلما رأى فتاة حسناء وهو لم يكن يبذل فى ذلك أى جهد .. أغلب الفتيات كن يدخلن شباكه من قبل ان يلقيها .. وسيم جدا ، بل فاتن .. إذا جاز ان يطلق هذا الوصف على رجل ! ، شديد الجاذبية .. التى ربما كان اكتسابه أياها نتاج امتزاج خفة الدم السودانية .. ممثلة فى والده .. بالجمال الانجليزى .. الذى امتلكت منه والدته القدر الكبير ..

وبدأ يتابعها .. فى النادى .. فى الفندق .. فى التليفون ، خجل سنها المبكرة يحول دون تجاوبها فيتقدم طالبا يدها ، دهش الوالد .. لكنه استمهله حتى يرد عليه ، مجرد حركة مجاملة .. لا يليق أن يقول له مباشرة .. انت مرفوض ، مرفوض بكل المقاييس .. والسبب ؟، عشرون سببا وسبب ، البنت صغيرة جدا .. لم تكمل التاسعة عشرة . أى تصغره بستة عشر عاما : عدا انها لم تلتحق بعد بالجامعة .. فطبعا يخشى ان يصرفها الزواج عن الدراسة ، كذلك فإن فترة تعارفهما ضئيلة .. لا تكفى للحكم على مشاعر أى منهما ، أيضا فالسمعة التى يلوكها الناس عن تنقله من زهرة إلى

زهرة لاتشجع على قبوله ، ثم انها وحيدته .. فكيف يزوجها بعيدا عنه ؟، لكن الهام تقبل الخطبة .. وتصر عليها ، قالت له فى مواجهته :

— لم أكن موافقة على زواجك .. فهل عملت برأيى ؟ ..

ثم أضافت لزوجة صديق له يعمل بالتدريس هناك :

— السبب الأخير لرفض أبى هو السبب الأول لموافقتى !، ألا يدرى أن زواجه حرمنى منه .. ولو بالفكر ؟.. إذن لابد ان اتزوج بعيدا عن مصر حتى أحرمه منى بالفعل !.

ذهلت الصديقة :

— تسوقين العناد إذن ؟!..

لم ترد الهام فعادت الأخرى تردف :

— هذا أغرب سبب زواج سمعته فى حياتى .

مثل كل مرة .. ومثل كل أمر .. اعترض الأب .. وناقش .. وساق الحجج والأسانيد . احتد ثم دلل .. ثم ثار .. ثم ترفق لكن شيئا من كل ذلك .. لم يجد فتيلاً !.

أقيم حفل الزفاف الأنيق فى أجمل فنادق العاصمة السودانية ، وبعد أيام عاد الأب إلى القاهرة .. وحده ، قال لزوجته .

— ذهبت معها إلى الخرطوم كى أدخلها الجامعة ولكنى أدخلتها فى عصمة العريس ! ..

كان يتكلم بسخرية .. لكنها كانت سخرية مريرة ، هونت عليه زوجته :

— فى كلتا الحالتين كنت ستتركها هناك .. بعيدة عنك ، الآن المفروض ان تكون أكثر اطمئنانا عليها وهى فى رعاية زوجها وحماتها عنها لو كانت فى المدينة الجامعية .

زفر : فى الجامعة كنت سأصبر نفسى انها فترة وتنقضى ثم تعود إلى مصر ، أيضا فإن أكثر ما يقلقنى خشيتى ان تترك الدراسة ..

— أوه يا حامد .. لا تشغل نفسك بدون داع .. هذا غير معقول طبعا بعد ان التحقت بالكلية التى كانت ترغبها .

لكن ما خشاه الاستاذ حامد تحقق فى أقل من سنة ، تركت الهام الكلية نهائيا واكتفت بأن تكون زوجة متفرغة للثرى الأمثل زاهرة .. وليتها كانت زوجة سعيدة ، دائما خطاباتها لوالدها تمتلىء بالشكوى .. من انشغال زاهر عنها بأملاكه. ودراساته .. وأيضا من تحكم حماتها فى كل كبيرة وصغيرة فى حياتها .. حتى جاءت « نرمين » .. الحفيدة الأولى لحامد ، بكى وهو يقلب الصور :

— بعد ولادة الهام تمنيت ان يرزقنى الله بأخ أو بأخت لها .. لكنها كانت أحلام .. بددتها الأيام ، من ثم حولت امنيتى إلى حفيد أو حفيدة .. وهاهى ذى تأتى ولكن .. بعيدا بعيدا ..

لم يعد يرى الهام أكثر من مرتين فى العام ، مرة فى الشتاء عندما يسافر هو إليها .. والأخرى فى الصيف عندما تحضر مع زوجها وحماتها للقاهرة ، هو معذور فى قلة الزيارات .. صحته لم تعد تساعده .. مضى العمر ولم تبق إلا فلوله ، ولكن ماذا عن الهام ؟.. تراها مازالت ناقمة على زيجته الثانية ، لكنها تفاجئه عند زيارته الأخيرة لها .. ألقت برأسها على كتفه وانفجرت تبكى :

— أخطأت كثيرا فى حقك يا أبى .. لكنى أطمع فى عفوك .

كنت صغيرة السن قليلة التجارب ، اننى نادمة على كل تصرفاتى التى كنت أعاندك بها .. كلها كلها عدا شىء واحد .. زواجى من زاهر ، حيث أصبحت أحبه .. أحبه لدرجة لا يتصورها أحد ، اننى الآن أراه كل العالم .. عالمى أنا على الأقل ، هذه المشاعر العاطفية الرقيقة .. وأيضا مشاعر الأمومة العذبة - وكلها جديدة علىّ .

غيرت نظرتى للحياة ، بل أعادت صياغتى انسانة جديدة ، من حق كل انسان ان يحب ويحب .. كان من حقك تماما ان تتزوج .. كيف كنت ستعيش وحيدا بعد ان تتقدم فى العمر واتزوج أنا ؟

اننى سعيدة ان غضبتى وثورتى لم تنجح فى ان تجعلك تعدل عن مشروعك .. كان ذلك حريا بان يجعلنى الآن فى منتهى الألم والعذاب .. وأيضا إحساس الشعور بالذنب .. الذى ربما حطم نفسيتى وبدد السعادة والبهجة كلية من حياتى !

بدون أن يدرى يجد الاستاذ حامد نفسه يبكى هو الآخر .. لتمتزج دموعهما معا ، حلم طويلا بهذه اللحظة . منذ بداية زواجه وتعقد المشكلة وهو يتوقع .. ثم يتمنى حدوثها .. تأخر تحقيقها كثيرا ، لكن حمدا لله .. أخيرا أتت ..

وهو يهنىء زاهر لحصوله على الماجستير .. أقترح عليه ان يحضر إلى القاهرة لعمل رسالة الدكتوراه لكن والدة زاهر تضحك ساخرة :

— معقول ؟ .. يترك جامعات لندن ليذهب إلى القاهرة ؟! ..

وقد كان .. انتقل الركب بأكمله إلى لندن ، لكن ماتكاد تمضى عليهم شهور هناك إلا وترحل الأم ، وكأنها كانت تحس باقتراب منيتها فصممت على السفر إلى انجلترا لتموت فى بلدها !، عندما سمع الاستاذ حامد بالنبأ خبط كفا بكف وهو يقول فى أسف :

— ترى لو أن سفر الهام وزوجها تأخر بضعة شهور .. لما بعد وفاة مسز عثمان .. أكان زاهر يستجيب لاقتراحى ويكمل دراسته فى القاهرة ؟ .. وتحاول زوجته التهوين عليه .

— لا أحد يستطيع ان يجزم بالضبط ، لكن لو حتى كان الرد بالإيجاب فقد انتهى الأمر .

تنهد : نعم سامحها الله .. زرعت ابنتى فى لندن .. ثم رحلت .

رغم صقيع لندن إلا أن الخطابات التى ظل الاستاذ حامد يتلقاها منها كانت تتسم بالدفء ، تعودت الهام ان تكتب اليه بكل مايحدث لها يوما بيوم .. وكأنه معها كتبت إليه عن انتقالها وزوجها للإقامة فى شقة انيقة . يتقاسمانها مع مبعوث مصرى آخر وزوجته .. التى

سرعان ما ارتاحت إليها وتآلفت معها .. وكأنها أخت شقيقة .. مما خفف عنها ضجرها لانشغال زاهر عنها بدراسته ..

فى أول العام الجديد كتب حامد لابنته يهنئها .. ويلفت نظرها الى ان موعد زيارته السنوية لها بالطبع سوف يتغير .. بتغير مكان اقامتها .. لتصبح صيفية :

— ومن الآن حتى يحل شهر يونيو .. اكتبى لى بكافة طلباتك .. كى اصطحبها معى حين آتى إليك بإذن الله ..

لكن قبل أول زيارة له وقعت الواقعة ، ذات يوم خرجت الهام مع اعتدال ـ شريكتها فى المسكن ـ كى تشتريا بعض الملابس الشتوية من شارع اكسفورد .. الذى يبعد عن حيهما بمسافة طويلة ، وإذا بالأمطار تفاجئهما قبل ان يركبا المترو الذاهب إلى هناك .. فتقرران العودة .. وتأجيل الشراء ليوم آخر ، أمام باب المنزل يتصدى لهما البواب .. معلنا اياهما ان أوامر « السيدين » تقضى بعدم السماح لأحد بالدخول وتحتج اعتدال :

— نعرف هذه الأوامر .. حيث هما يريدان الاستذكار .. لكن المقصود بهذه الأوامر طبعا الزوار .. خشية تعطيلهما .

وصرخت الهام : اجننت ؟ ..

نحن زوجتا السيدين .. انت حقا جديد فى عملك هنا .. لكنك بالتأكيد رأيتنا أمس وتعرفنا جيدا .

ويرد البواب نافد الصبر :

— بالطبع أعرفكما .. لكن الأوامر كانت صريحة .. « ممنوع دخول أى انسان .. وبالذات الزوجتين .. لمدة ثلاث ساعات .

تتبادل الهام واعتدال النظرات فى دهشة .. تتحول إلى ذهول .. ثم غضب .. وأخيراً إلى ثورة وتهددانه .. إذا لم يفتح لهما ستبلغان البوليس ، أسقط فى يد البواب فلا يجد مفرا من فتح الباب ، وتدخلان مندفعتين .. لتجدا الشقة وقد تحولت إلى ماخور حقير .

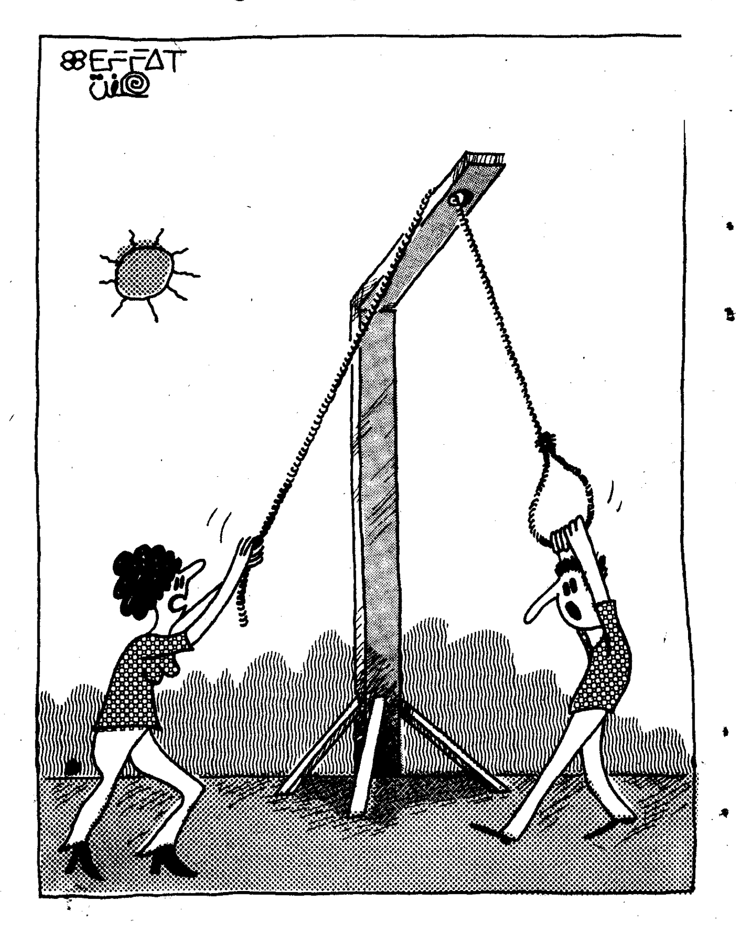
الزوجان المبجلان فى حالة تبذل .. ومعهما فتاة ليل رخيصة .. من أدنى مستوى . لاتساوى قلامة ظفر أى منهما !

فى الطائرة المسافرة إلى القاهرة .. بدا الذهول فى نفس الهام يخلى مكانه لشعور الأسى المرير .. لذلك مضت تناجى نفسها :

— ما كان ينبغى ان تكون صدمتى مروعة لهذه الدرجة .. ماذا كنت اتوقع اذن ؟ أن تمضى سفينة حياتنا فى بحر هادىء رقراق ؟ .. كيف وقد اسأت اختيار السفينة .. وأيضا المجرى الذى تبحر فيه . كانت البداية خاطئة .. فحتما ان تكون النهاية ـ كما حدث بالضبط ـ من نفس النوع :

● ● ●

مع استعمال الرأفة ..



قالت فجأة : طلقنى .. يا سعيد .
بهت : ماذا تقولين ؟ !
أكدت : ما سمعته .. طلقنى ! ..
قال بذهول : هل جننت ؟ وحبنا الكبير ..
الطويل العريض .. القوى العميق ؟ .
— من أجل هذا الحب الذى تسهب فى وصفه .. أريدك أن تطلقنى .. لا أود لك أن تضار بسببى ، ويكفى ما نالك حتى الآن ..
— لكنك بريئة يا نوال ..
ردت بصوت مشبع بقطرات الأسى المرة المذاق :
— بل يبدو اننى كنت غبية ! .
صاح باستنكار .
— ماذا ؟ .. هل أنت نادمة على موقفك ؟ !
أيقظتها صيحته فعادت تتماسك وتهتف بلهجة ملؤها الاصرار والتحدى :
— اطلاقا .. ولو عادت عقارب الساعة إلى الوراء ما تصرفت بغير ما حدث ، فقط أنا أنعى خيبة أملى فيها . هذه التى صدقوا عندما صوروها عمياء .. أو مغمضة العينين .. العدالة !
— أحيانا فعلا تغيب أو تزيف الحقائق أمام عدالة الأرض .. لكن تظل هناك دائما عدالة السماء تسهر لترعى الجميع ..
— بل وحتى هذه الأخيرة .. بدأ إيمانى بها يتزعزع ! .
— حاشا لله ..
قالت باكية :

— إذن فلماذا لم تتدخل حتى الآن ؟ .. ماذا تنتظر ؟ . أن يقضى تماما على مستقبلى ؟ ، هل نسيت أننى يجب أن أمثل غدا أمام النيابة كى يحققوا معى ؟ ، هل يعقل هذا ، أنا اقف أمام النيابة .. متهمة .. وهى .. سامية هانم .. تجلس فى منزلها .. شامخة برأسها .. محترمة مبجلة مكرمة .. ذاتها مصونة ؟ !

« سامية هانم » .. لماذا ألقت بها الأقدار فى طريقها ؟ لكم تمنت لو أنها لم تلتق بها أبدا ، الغريب لم يكن هذا رأيها يوم دخلت مكتبهم لأول مرة .. تسبقها رائحة عطر فاخر كأنما لتفتح لها الأبواب .. أو القلوب ، يومها رفعت رأسها عن أوراقها وتلفتت حولها فى حيرة .. بحثا عن مصدر الرائحة .. لكنها لم تجد غير زميلاتها البسيطات و .. ثلاث من الأرامل .. المتشحات بالسواد .. وقد كادت عيونهن أن تتورم من أثر البكاء ، غير معقول أن تكون المصدر واحدة منهن .. فالرائحة الوحيدة التى يمكن أن تفوح من مثل هؤلاء .. هى رائحة العرق ، لم تطل حيرتها .. فجأة سطع القمر على الباب .. سامية هانم .. جميلة .. رشيقة .. بالغة الأناقة .. رغم أنها بدورها ترتدى السواد .. لكن هكذا الثراء .. عندما يطبع بصمته على أى شىء .. يصبح مختلفا .. الملابس السوداء إذا كانت غالية فاخرة ثمينة تتألق ربما بأكثر من فساتين الزفاف البيضاء ! ..

اتجهت القادمة مباشرة صوب مكتب مدام « سعاد » .. الرئيسة .. وقدمت لها بعض الأوراق .. قرأتها ثم أشارت باصبعها إلى المكتب المقابل :

— حسب مكان إقامتك .. فموضوعك يتبع مدام نوال ..

سرت نوال أن يكون موضوع هذه الفاتنة معها .. الله جميل يحب الجمال ، عدا راحة الحواس .. العينين والأذنين والأنف .. فالتعامل مع مثل هذه يريح الأعصاب .. أو يمنحها هدنة من « المناهدة » مع باقى المتعاملات ، فلا شك نالت قسطا من التعليم .. الأمر الذى يجعلها تستوعب ما يقال لها بسهولة .. ليس معنى هذا أن نوال

كانت تضيق بالمتعاملات معها من البسيطات .. إطلاقا ، لاهى ولا أية زميلة فى المكتب ، كن يقدرن أن هؤلاء السيدات يترددن عليهن وهن فى أتعس حالاتهن وهل هناك ما هو أسوأ أو أصعب من فقد شريك الحياة ؟ ، السند والمعين .. رب الأسرة وراعيها .. وحاميها من عوادى الزمن ؟ ، هاهى ذى الزوجة تفقد رجلها فجأة لتجد نفسها وحيدة وقد ناءت كتفاها بحمل ثقيل .. المنزل وتربية الأولاد .. والسعى وراء المعاش .. والتركة والضرائب و .. المجلس الحسبى ، تذهب إليه لتقابل المعاونة المنوطة بها .. ومازال جرحها جديدا ينزف ، عدا أنها تجهل بالطبع كل شىء عن القوانين .. وما لها وما عليها .. لذلك يبح صوت المعاونة وهى تحاول إفهامها كل ذلك .. وتظل تعيد ما تقول لثانية و ثالثة وعاشرة .. كالاسطوانة المشروخة ! .

لكن المعاونات لم يضقن كثيرا بهذا العناء .. اعتبرته قدرهن .. ما ضايقهن حقا عدم التقدير ، تتخرج هى وزميلها فى كلية الحقوق .. فيعين الزميل وكيل نيابة .. وهى المهنة الممنوعة على الفتيات .. لذلك يعين معاونات للمجالس الحسبية .. ليصبحن مرءوسات لوكيل النيابة الزميل ! . الذى يحظى بالكثير من الامتيازات ، قالت نوال ذات يوم ردا على إحدى الزميلات :

— ليس بيننا وبين وكلاء النيابة خصومة حتى نضيق بما يتمتعون به .. والأفضل أن نطالب بنصيبنا فى هذه المميزات ..

ضحكت زميلة أخرى وهى تعقب :

— طبعا ليس بيننا وبينهم خصومة .. وانما حب وعشق متيم ! .

انطلقت الزميلات يضحكن بينما احمر وجه نوال خجلا .. كانت الزميلة تقصدها بالطبع .. حيث زوجها « سعيد » وكيل لنيابة الأحوال الشخصية . تلازما فترة فى العمل .. لتنشأ بينهما قصة حب رقيقة .. سرعان ما توجاها بالزواج .. ثم اكتملت سعادتهما بطفلتين كما ملاكين ، وسار مركب حياتهما فى بحر هين الأمواج ...

خال من الانواء .. تزفه ترنيمة ظنتها أبدية .. ستظل حتى نهاية الحياة ..

وفى حين بقيت نوال فى نفس مكانتها حصل سعيد على عدة ترقيات حتى أصبح رئيس نيابة ، وتضحك سعاد وهى تغمز بعينها تجاه نوال :

— انت مثل المنشار الذى يأكل صعودا وهبوطا .. فإذا منحت المعاونات ميزة أخذتها معنا وإذا كانت المزايا من نصيب وكلاء النيابة حصلت عليها أيضا ! .

لكن الحقيقة ان سعادة نوال لم تكن بسبب هذه المزايا المادية أو تلك ، منذ صغرها وهى تهتم بالمعنويات أكثر ، رباها والدها .. الشيخ الأزهرى الصالح .. ومعها اخوتها جميعا .. على تقديس القيم ، لذلك كانت سعادتها الحقة فى شعورها بحب زوجها وحنانه .. عليها وعلى الأولاد .. ينبوع من الحنان هو .. لذلك لم تكن لتتصور نفسها يوما تلح عليه فى طلب الطلاق .. لكنها أيضا لم تكن لتتصور أن ما حدث حولها يمكن أن يحدث ، وهى المحبة للخير .. تقدمه دائما كلما استطاعت .. لكل الناس عامة .. وللأرامل المترددات عليها على وجه الخصوص لدرجة أنها أحيانا تساعدهن فى بعض أشياء صغيرة .. ترى انها فى صالحهن وصالح أولادهن القصر ، كانت دائما تردد أن بعض بنود القانون تبدو أحيانا جامدة .. وأن الأهم من تنفيذ نصوصه .. هو تنفيذ روحه .

الغريب أن سامية هانم جاءتها يوما لتقول لها نفس الكلام بالنص ! وتضحك نوال :

— هذا مبدئى فى الحياة .. وما أحاول دائما أن اطبقه ..

— إذن ليتك تعاونيننى فى هذا الموضوع الصغير .

لكن الموضوع لم يكن صغيرا أبدا .. تريد منها أن توافقها على الحسابات التى قدمتها عن إيراد المستشفى الذى تركه زوجها .. رغم

أن هذه الحسابات كانت تقل كثيرا عن نصف الإيراد الحقيقى ! ردت على احتجاجها :

— لقد وافقتنى يا مدام نوال على أن نصوص القانون الجامدة تكون أحيانا غير عادلة .. وانها لا تستطيع أن تكون فى صالح الكل وإنما دائما لها ضحايا ، والأمر هنا كذلك .. عندما كان زوجى على قيد الحياة .. كان ينفق كل دخل المستشفى على وعلى طفلتنا الوحيدة .. الآن مفروض على أن أعطى أباه وأمه واخوته ما يقرب من نصف دخلنا .. ألا يكفى أننا فقدناه هو حتى نفقد المال الذى كنا نستمتع به أيضا ؟ هذا ظلم .. قانون ظالم .. انه حقى وحق ابنتى وحدنا دون شريك ، وزوجى نفسه كان يريد هذا .. من كل قلبه ..

وترد نوال بهدوء :

— يمكن أن أوافقك على غباء بعض القوانين الوضعية .. أما قانون المواريث هذا فقانون إلهى .. ولا يمكن أن يظلم الله أحدا .. أبدا ..

ويطول الحوار .. وتستخدم سامية الأسانيد والحجج لتبرير طلبها .. لكن نوال لا تلين قط .. انها مسألة ضمير .. تعتبره دائما فوق كل شىء .

بعد الغداء يفاجأ سعيد بزوجته تصرخ .. فيسرع إليها .. ليجدها تمسك بيديها رزمتين من النقود .. تحوى كل منهما ألفا من الجنيهات وتقول بذهول :

— وجدتها فى حقيبتى .. لست أدرى كيف جاءت ، آه يا إلهى .. ذهبت مع سامية هانم إلى المستشفى للمعاينة ثم أوصلتنى بنفسها حتى هنا .

سكتت قليلا ثم عادت تقول وصوتها يتلون من الدهشة إلى الغضب :

هذه السيدة الحقيرة .. ماذا عساها تظننى ؟ . والآن ماذا أفعل ؟

ويرد زوجها بهدوء :

— أبلغى النيابة فورا .. هذه جريمة رشوة بينة .

وتهتف نوال باستنكار :

— معقول هذا ؟ ! لقد أخطأت طبعا .. والمفروض أن أراجعها وألقنها درسا ، لكن مع استعمال الرأفة .. لا أن أضيرها ، ضميرى لا يقبل هذا .. ان لم يكن من أجلها فمن أجل طفلتها .. التى فقدت اباها بالموت .. فهل أحرمها أيضا بالقائها فى السجن ؟ .

من ثم تذهب إلى سامية فى منزلها .. حيث تظهر لها مزيدا من استيائها من تصرفها وهى تعيد إليها أموالها ، وتحاول المضيفة أن تثنى نوال عن موقفها .. لكن عبثا .. فتقول جملة واحدة وهى تنظر إليها نظرة غريبة :

— هكذا ؟ ستندمين !

وتهز نوال كتفيها باستهانة وهى تغمغم لنفسها :

— انها لا تعرف اننى آخر من يندم لخلويده من النقود .

فى حين كانت سامية تقصد شيئا آخر .. لم يتطرق إلى ذهن نوال قط ، وهل كانت تتصور أن يصبح جزاؤها على عدم الإبلاغ عنها أن تتهمها هى ؟ بعد أيام تبلغها رئيستها وهى جد منزعجة أن شكوى قد وصلت الوزارة من سامية تتهمها فيها بطلب رشوة كى تضع التقرير لصالحها .. فلما أبى ضميرها ذلك ! وضعت تقريرا مغاليا فيه جدا .. نكاية بها ، وتأخذ الرئيسة أقوال نوال .. ثم تعيد التحقيق إلى الوزارة .. مشفوعا بالنتيجة التى توصلت إليها .. عدم صحة الادعاء إطلاقا .. وكذب السيدة الواضح .

كان المفروض .. والذى يحدث فى مثل هذه الأحوال .. أن يحفظ الاتهام لعدم جديته ، لكن هذه المرة بدأت الأحداث تقع تباعا .. صدر أمر بإيقاف نوال عن عملها .. ثم تلاه أمر آخر بإحالتها إلى النيابة للتحقيق فى الاتهام وكانت ثالثة الأثافى أمراً بنقل زوجها -

الذى لا صلة له بالموضوع إطلاقا - إلى نيابة الأحداث بحى شبرا ! ، حتى لا يتسبب وجوده بنيابة الأحوال الشخصية فى حرج يقع فيه وكيل النيابة الذى يقوم بالتحقيق مع نوال كما برروا له سبب نقله ! طبعا الجميع كانوا يدهشون لكل هذه الإجراءات .. التى لم يسبق لها مثيل ، حتى جاءهم كبير الكتاب بالنبأ اليقين .. وقد اكتشفه مصادفة .. مسئول كبير بالوزارة ابن عم للمدعوة سامية .. لذلك سارت الأمور باعتبار المتهمة مدانة حتى تثبت براءتها .. وليس العكس كما هو المتبع ! .

وتكاد نوال تنهار .. خاصة عندما أحست أن السيدة الموسرة .. ومن خلفها قريبها ينويان أخذ زوجها معها بجريرتها ، وهذا مالم تكن لتقبله .. إذن ليتم الانفصال بينهما حتى ينجو سعيد بنفسه من بطشهم .. لكن رجل العدالة .. الواثق منها ومن نفسه ومن براءة زوجته .. يهدىء من روعها بأن الحق لابد أن يظهر فى آخر الأمر .

وبكلماته .. يأخذ شعاع بسيط من الطمأنينة فى التسلل إلى قلبها .. لذلك تدخل فى اليوم التالى على وكيل النيابة بخطى ثابتة ، لكن ما يكاد الوكيل يمضى فى أسئلته .. حتى يبدأ ذلك الشعاع الواهى فى الافول .. ليحل محله قلق راح ينساب داخل نفسها كجسد ثعبان أملس .. فوجئت بأن المدعية لم تلق الاتهام هكذا جزافا وإنما أحكمت نسج خيوطه .. حيث استشهدت ببواب عمارتها ومساعده .. على حضور نوال إلى منزلها وتصميمها على مقابلتها .. رغم أخبارهما إياها بأن السيدة نائمة ، كما استشهدت ببعض الفراشين فى غرف المعاونات بوقائع يمكن اتخاذها أدلة .. بعضها حدث فعلا لكن أسىء تأويله .. وبعضها مختلق من أساسه .. عادت نوال إلى منزلها ساخطة .. قالت بمرارة :

— هؤلاء الفراشون .. الذين كثيرا ما أكرمتهم .. يشهدون ضدى ؟ هل أصبح جميع الناس هكذا سيئين ؟ !

ويرد زوجها :

— لا .. ليس كل الناس كما تظنين ، وهؤلاء الفراشون المساكين .. لا يعلم إلا الله ماذا كانت الضغوط التى وقعت عليهم كى يقولوا ما قالوا .

بالفعل لم يكن كل الناس سيئين .. فالدور الذى قامت به الأستاذة سعاد كان رائعا ، عندما حول إليها بحث ومعاينة تركة زوج سامية .. وتحدثت هذه الأخيرة فى موضوع الاكرامية « لتعديل التقرير » بادرت بإبلاغ النيابة .. فتم عمل كمين . دار الحوار طويلا بين الاثنتين حتى أنهته سعاد برقة وهى تتمنع :

— لا .. لا .. لن آخذ شيئا يا سامية هانم .. فلا أريد أن أكرر مأساة نوال .

وتضحك الأخرى :

— نوال هى التى جلبت على نفسها المتاعب . حيث لم « تفتح مخها » معى .. ولو فعلت لأكلت الشهد بدلا من تجرع العلقم ، لم تربها وهى ترفض التعاون معى بصلافة وتكبر ، ولعلمك . لا أحد يستطيع أن يحول دون تحقيق ما ..

فى هذه اللحظة أطبق عليها رجال البوليس .. فقطع استرسال حديثها .

بعد انقشاع الغمة .. قالت نوال تحدث صورة يعلقها زوجها لتمثال العدالة :

— أقدم لك جزيل اعتذارى .. عن شكى القديم فيك ، حقا إنك معصوبة العينين .. لكنك مع ذلك .. أبدا لست عمياء .

● ● ●



إنهم يسرقون الحب

قال خيرى لدفعة المحاسبين الجديدة التى التحقت بالشركة :

— نحن سعداء جدا بحضوركم .. وأرجو أن نتعاون جميعا لصالح العمل :

لم تكن مجرد كلمات مجاملة .. فأعمال الشركة ظلت فى ازدياد طوال الأعوام الأخيرة .. دون أن

يصاحبها زيادة فى اعداد الموظفين ، حتى اتخم الجميع بالعمل ، الآن سيقسم العمل على ثمانية محاسبين بدلا من خمسة ..

مضى يتطلع إليهم ، شاب وفتاتان .. تعلقت نظراته بالسمراء النحيفة ذات العينين السوداوين الضاحكتين كأنهما أرجوحتان من نغم .. والشعر الفاحم الذى تنسكب خصلاته على جانبى وجهها ، لكنه سرعان ما سحب عينيه عنها وهو يزفر ، كم مرة استلفتت نظره زميلة أحس بالارتياح إليها .. لكنه قبل أن يتقدم خطوة واحدة تجاهها .. يجد هذه الزميلة تتقدم هى إليه .. ببطاقة دعوة لحضور حفل خطبتها ! ، إذن فسوق الزواج رائجة جدا ، كيف يحدث هذا الزواج مع ازمة الاسكان الطاحنة تلك ؟ ، هو مثلا .. إذا رغب فى الزواج فلابد أن تمر سنوات.وسنوات حتى يستطيع تدبير شقة ، واى عروس يمكنها أن تقبل هذا الانتظار الطويل ؟ ..

اية فتاة الآن أصبحت تريد العريس الجاهز ، وكأن الزواج معركة عظمى .. يجب الا يتقدم إليها إلا من اتم إعداد اسلحته كلها .. شقة ومهر وشبكة-إلخ إلخ ، اما من اضاف إلى كل ذلك سيارة أيضا .. فهو الفائز من أول مناورة ! ..

هناك استثناء واحد .. الحب ، عندما تحب الخطيبة فتاها فإنها تقدم ــ بكل تأكيد ــ على تقديم العديد من التنازلات .. مثل الشبكة وحفل الزفاف والمهر الكبير ، بل وحتى مالا يمكن التنازل عنه .. مثل الشقة .. فإنها تتجمل إزاءها بالصبر ولا تمل طول الانتظار ، طبعا هذا ليس اكتشافا .. الكل يعرف ذلك . فقط .. أين هو الحب ؟ . انه موجود بكثرة .. فى افلام التليفزيون والسينما ، آه .. وأيضا فى المسرحيات ، اما فى الحياة فنجده أنه [illegible] [illegible] مثل طربوش الأجداد [illegible] الجدات .. موضة قديمة .. عفى عليها الدهر .. وأمست فى خبر كان ! ..

هز خيرى رأسه وهو يؤكد لنفسه : « لن أهتم بفتاة مهما كانت

رقتها أو جاذبيتها » ، وفعلا نفذ قراره بكل دقة فلم ينظر ناحية « هويدا » طوال .. ذلك اليوم ! ، لكن عينيه بدءا من اليوم التالى تمردتا على أوامره وظلتا تختلسان إليها النظرات فى غفلة منها .. ومنه! ..

بمرور الأيام والشهور تتوثق أواصر الصداقة والزمالة والمرح البرىء بين الجميع فى المكتب .. حتى راحوا يتحدثون فى كافة أمور حياتهم ، ما أجمل هذه الدقائق يختلسونها وسط ساعات العمل .. رغم أن الأحاديث كانت حول أشياء ليست بذات أهمية كبيرة ، المهم أصبح فى استطاعة خيرى أن يحدث هويدا فى أمور عديدة .. لكنه لا يذهب إلى أبعد من ذلك ، وهو يتوقع فى كل صباح أن تحضر إلى الشركة وهى لامعة العينين متوهجة الوجه .. ثم تفتح حقيبة يدها ببطء شديد لتخرج منها دعوات حفل خطبتها كى توزعها على جميع الزملاء والزميلات ! ..

كل يوم يقول لنفسه « حتى الآن لم يحدث .. مع ذلك فهو منتظر بين لحظة وأخرى .. لذلك لابد أن أوقف اهتمامى بها حتى لا يزيد فيصبح حبا .. كى لا تكون الصدمة شديدة عندما أسقط مرة فى قاع الحقيقة .. فما أفدح المقابل الذى ندفعه ثمنا للحلم » .

فجأة لاحظ خيرى شيئا فريدا ، نظرات وابتسامات بين هويدا ومجدى .. زميلهما فى المكتب ، وإذا اخفى مغزى هذه النظرات على الجميع فهو لن يخفى عليه ، صحيح أن الحب مازال جنينا فى رحم الغيب .. لكنه لاشك سيولد قريبا ، ضحك طويلا بصوت عال .. رغم وجوده منفردا فى غرفة نومه .. خبط كفا بكف .. شىء عجيب مذهل .. صحيح توقع دائما أن يأتى شخص ما ويختطف هويدا كما اختطفت غيرها من قبل .. لكن آخر ما توقع أن يكون مجدى هذا الشخص ، فهو مثله .. أعزل تماما .. صفر اليدين من كافة أسلحة الزواج ، تساءل بمرارة :

— كنت أفهم سائر الفتيات عندما يفضلن العريس المستعد علي .. لكن ماذا في مجدى حتى تفضله علي ؟ » .

لكنه عاد وتذكر أنه لم يحاول قط أن يظهر لهويدا اهتمامه بها . وإذن لم يكن هناك موضوع تفضيل .. حتى الآن ، لكن التفضيل سيأتي بعد ذلك .. عندما يظهر العريس الجاهز .. فتقع عملية الاقتناص المعتادة ، بيد أنه هذه المرة سيكون جالسا في الصالة يتفرج وليس ضمن الأبطال على المسرح ، من ثم سيكون في استطاعته أن يضحك ويضحك .. في حين ينزوى مجدى بعيدا وهو يلعق جراح أحلامه المبتورة ، لن تكون سعادته وقتها نابعة من شماتة .. فمجدى لم يأخذها منه .. لكنها ستنبع من إحساسه أنه في هذا الهم ليس وحده ، أو كما يقول المثل العامى « من شاف بلاوى الناس هانت عليه بلوته » .

نعم كان بلاؤه أخف كثيرا .. حيث لم يكن غارقا في الحب حتى أذنيه .. مثل رميو آخر الزمان هذا .. صاحب الرؤية الرومانسية الساذجة ، وهل أدل على سذاجته من تلك الفرحة العارمة التى استخفته يوم جاءهم نائب المدير بذلك المنشور الذى وزع على كافة الإدارات ؟ ، الشركة بصدد إنشاء فرع لها في إحدى المدن الجديدة ، والموظف الذى يوافق على النقل إلى هناك .. سوف يحصل على شقة من غرفة واحدة وصالة ، وأيضا فإن راتبه سيزداد بنسبة خمسين بالمائة ..

هل ظن ذلك النائم في العسل .. فوق وسادة موشاة بالأحلام .. ان هذا الأمر هو الحل السعيد الذى يمكن أن يحل أزمة أى شاب مقبل على الزواج ؟ ، وأى عروس يمكن أن تقبل هذا الحل الخائب ؟ ! ، ان تكون كل مملكتها المنتظرة غرفة واحدة بعيدة عن العمران ، وأين ؟ .. في مكان بعيد تبعد عن أسرتها وصديقاتها و .. الناس جميعا ، بل هى سوف تعتزل المدينة والرفاهية والحضارة ..

ستحرم من اية وسيلة تسرية أو ترفيه ، ستعدم حتى مجتمعا ترتدى فيه ملابس عرسها الجميلة .. أو معارف تمازحهم أو تتحدث معهم .. لدرجة أنها قد تنسى الكلام ! ، أية حياة قاسية كئيبة مملة .. الصباح مثل الظهر والظهر مثل العصر ، أما المأساة حقا فهى عندما يحل المساء .. الذى يلف المنطقة السكنية كلها بسكون أشبه بالموت ، وفى داخل المساكن لن يكون الحال أفضل ، فلن يستطيع ساكنوها برواتبهم وحدها - حتى بعد زيادتها - أن يحصلوا على الأثاث الوثير أو الأجهزة الحديثة .. إلا بعد سنوات من المعيشة الصعبة .. عندما يكون الشباب قد بدأ يولى ! ..

مؤكد أن مجدى واهم يحلم وحده ، ولو أنه فاتح هويدا فى هذه الفرصة العظيمة لسخرت منه ، وحتى إذا كانت هى بدورها خيالية رومانسية حالمة مثله .. فأسرتها لن تتركها تحلم طويلا ، ولابد - وهى على هذه الدرجة من الجمال - سيطرق بابها العريس الملىء .. الذى سيوقظها من أحلامها عندما يقدم لها كل متطلبات الزواج على صينية من ذهب .. أو حتى فضة ، موفرا عليها عمرا من الانتظار والمعاناة والعذاب ، ولن يتأخر ذلك كثيرا .. فلتنتظر يا مجدى .. وسترى .

ذات يوم يقرأ إحدى جرائد الصباح .. إذ بخبر أو إعلان يقفز من بين السطور ليتعلق بأهداب عينيه متراقصا أسفلهما .. مطلوب التبرع بكلية مقابل مكافأة مجزية .. عشرون ألفا من الجنيهات ، تنهد فى سريرته .. يا له من مبلغ مغر وإن كانت الفكرة فى حد ذاتها صدمته .. لأول وهلة .. شىء منفر تماما ..

لم تمض أيام حتى قرأ إعلانا آخر بنفس المعنى .. هذه المرة لم يكتف الإعلان بالقفز أسفل عينيه وإنما اخترق رأسه .. حتى اضطر أن يهزه عدة مرات فى محاولة لإخراجه منه .

ياالله .. ما هذا ؟ .. هل أصبحت موضة ؟ .. شوطة ؟ كلُّ يوم

تقريبا يقرأ مثل هذا الإعلان ، ذلك أمر غير عادى .. لكانها مؤامرة على إرادته .. فعلا هذا الإعلان يطارده .. يحاصره لم تعد سطوره مجرد كلمات بل مخالب تمتد لتمسك بتلابيبه .. ومرة أخرى راقصات فاتنات تتثنى وتتأود أمامه .. وثالثة أنوار نيون تبرق وتنطفىء فى ثوان .. ورابعة جيوش نحل تحوم حول وجهه مطلقة أزيزا صاخبا متصلا .. وخامسة ومضات نار مضت تلسع تفكيره .. وسادسة باقات ورود تنفرش تحت قدميه !! ..

وبدأ يفكر .. ولم لا ؟ » .. نعم لم لا ؟ .. ليس الأمر خطرا ولا حراما ، ولو كان الأول لمنعته الهيئات الطبية .. ولو كان الثانى لاحتج عليه رجال الدين ، لكن احدا لم يعترض .. واحدا لم يستنكر .. هذا الأمر ، والإعلانات تنشر فى اكبر الجرائد جهارا نهارا ، وإذن فهى شىء مشروع .. تماما ! ..

ما اكثر ما سوف تحققه له العشرون الفا ، مضى يحسب فى رأسه .. لا .. انه يحتاج لخمسة وعشرين من أجل الحصول على زيجة مستريحة وسريعة .. قبل أن يتسرب عمره من بين أصابعه قطرة قطرة ، من أجل التسلح بكافة المزايا التى تجعل أى فتاة تسلم بلا قيد ولا شرط ، عشرة آلاف قيمة خلو الشقة .. ومثلها للمهر والشبكة وحفل الزفاف ورحلة شهر العسل .. وبعض النثريات ، ثم خمسة لشراء سيارة نصف عمر تقصر المسافات ، اية مسافات .. حتى المعنوية منها .. ولو كانت بينه وبين العروس ! ، وإذن .. فلابد أن « يفاصل » اهل المريض حتى يوافقوا على الزيادة التى يطلبها ، من يدفع عشرين الفا يمكنه دفع اكثر .. انه يشترى حياته .. من ثم فلابد أن يقبل ، خاصة وهو لن يجد متبرعين كثيرين .. يعرف أن فصيلة دمه نادرة .. لذلك فهو يطلب من موقع قوة ، والمسألة آخر الأمر يحكمها قانون العرض والطلب !! ..

ولقد حدث فعلا ما توقعه .. وافقت أسرة المريض على المبلغ

الذى حدده بسهولة ، لدرجة انه انب نفسه .. « لماذا لم اطلب أكثر ؟ .. كانوا على استعداد للدفع ! » ..

طيلة خطوات تفكيره فى ذلك المشروع .. وإمكانية الاقدام عليه .. وما سوف يحققه بناتج عائده .. وصورة هويدا على باله ، لا يظن انه أحبها لهذه الدرجة .. دائما كان يشعر انه يستلطفها فقط ، ايضا غالبا صورة مجدى إلى جوارها .. فهل أحبه هو الآخر ؟ .. ترى ما معنى توالى هذه الصورة ؟ ..

بطبيعة الحال هو اخفى الأمر عن زملائه ، طوال أيام التحاليل كان يذهب إلى المستشفى بعد خروجه من الشركة ، وفى موعد الجراحة طلب إجازة مرضية ، لكنه يفاجأ ذات يوم بمجموعة من الزملاء تزوره فى المستشفى ، يا لأمه الساذجة .. اعطتهم العنوان رغم تاكيده عليها بعدم ذكره لأحد ، ترى .. هل يسخرون منه ؟ .. هل يستنكرون ما فعل ؟ قال لنفسه بتحد « من يفعل منهم سيكون ذلك لقلة حيلة .. ثم لأدعهم يسخرون ويستنكرون ما شاءوا .. فسينقلبون قريبا إلى حاسدين حاقدين عندما أحصل بسرعة البرق على العروس والشقة والسيارة ! » ..

انتهت الجراحة لكن كان لابد من فترة نقاهة .. ألا ليتها تنتهى بدورها سريعا قبل أن يقضى الأمر وتتم خطبة هويدا إلى مجدى ، لكنه يعود ويطمئن نفسه .. ليست هذه الخطبة بالأمر الممكن ، لن تقبل هويدا أن تقفز هذه القفزة فى الظلام ، وبفرض أن الحب قد ختم على بصرها بعصابة كثيفة . فأين ! أهل الفتاة ؟ ، وآه من أهل أية فتاة وطلباتهم واشتراطاتهم ، أضاف يزيد من جرعة اطمئنانه ، حتى لو حدثت المعجزة وتمت خطبة هويدا .. فانها قطعا - وبمجرد تلويحه بما فى يده من مقومات الزواج الحقيقية - سوف تفسخ تلك الخطبة ! ، ألم يحدث ذلك معه فى واحدة من المرات العديدة التى فكر او حاول فيها الزواج ؟ ، فى أولاها اختار فتاة أحلامه وحزم أمره

فقط ، فى الثانية بدأ يبدى مشاعره لمعبودته ملمحا بفكرة الزواج ، أما فى الثالثة فكانت الخطبة قد تمت بالفعل رغم اعتراض أسرة الفتاة فى أول الأمر ، لكن مع هذا الاختلاف فى البدايات فقد كانت النهاية واحدة ، فجأة يكشر الزمن عن أسنان تقضم حلمه .. حين يظهر الفارس المنتظر مستعرضا إمكانياته .. فإذا بالفتاة ـ فتاة خيرى ـ تهرع نحوه دون حتى كلمة اعتذار !

هذه المرة سيحدث تغيير فى أبطال اللعبة .. سيتبادل هو ومجدى المراكز .. مركزى المنتصر والمهزوم ، سيقوم بدور الغضنفر المقتنص بدلا من دور الأرنب المذعور ، ويالها من سعادة تملأ القلب .. يالها من نشوة تدير الرأس .. يالطعمها الحلو على اللسان ، عندما يسترد كرامته التى تبعثرت فى كل فج .. عندما ينتقم من كل الذين أحبطوه سالفا .. فى شخص هذا « المجدى » الغارق فى الأحلام ، ترى هل لهذا السبب كانت صورتا هويدا ومجدى تخايلان خاطره طوال تلك الفترة ؟ ..

انتهت أيضا فترة النقاهة وجاء يوم عودته للعمل ، الزملاء جميعا رحبوا به .. من الظاهر .. لكن الله يعلم بما فى داخل القلوب .. والعقول ، لم تكن مفاجأة ان وجد درجة حرارة الانسجام بين مجدى وهويدا قد ارتفعت درجات .. أصبحت العلاقة معلومة للجميع ، حتى أن رئيس المكتب وجه إليهما ذلك السؤال العذب :

— هيه .. متى ترانا سنشرب الشربات ؟ ..

وتطرق هويدا حياء فى حين يرد مجدى وابتسامته تصل ما بين أذنيه :

— قريبا .. قريبا إن شاء الله ..

فينثنى الرئيس موجها حديثه لخيرى :

— حسن أن عدت من الأجازة يا صديقى .. حتى تشاركنا جميعا الأفراح ..

ساعة الانصراف يتحين خيرى لحظة ينفرد فيها بهويدا فيطلب منها أن تلقاه بعد الظهر فى أحد الكازينوهات ، وعندما تعتذر يلح عليها :

— أرجوك .. انها مسألة حياة أو موت ! ..

وتأتى منزعجة وهى تفكر فى أكثر من خاطر .. لكنه يفاجئها بأبعد شىء كانت تتوقعه :

— هويدا .. هل تتزوجيننى ؟ .

وتبهت : لكن يا خيرى انت تعلم اننى شبه مرتبطة بمجدى زميلى .. زميلنا ..

— هو زميلى حقا لكنى لا أستطيع أن أقف مكتوف اليدين وأنا أراك تنساقين مغمضة العينين إلى طريق مظلم ، اننى أملك كل شىء .. فماذا يملك مجدى ؟ ، هل تنتظرينه عشر سنوات حتى يحصل على شقة ؟ ..

— بل سيحصل على شقة بعد شهور فى المدينة الجديدة التى حدثنا عنها نائب المدير .

— أتسمين ثقب الابرة هذا شقة ؟ .. وذلك المكان مدينة ، انها منفى ، مجدى يحلق بك وسط سحابات خيال ووهم كاذب ، ان أمامكما حتى تصلا للحياة الناعمة المريحة طريقا طويلا .. طويلا .. من المعاناة والكفاح ..

— رحلة الكفاح ستكون رحلة السعادة لاثنين تفاهما وتقاربا و .. تحاربا ..

— وإذا تواجد الحب مع الإمكانات الا يكون أفضل ؟ ، لماذا يسير إنسان فى طريق طويل وأمامه طريق آخر مختصر ومفروش بالرياحين ؟ ، لماذا يركب شخص ما عربة صغيرة بطيئة .. مادام متاحا أمامه أن يركب طائرة ؟ ..

— انه قد يفعلها إذا كان ركوب هذه العربة البطيئة أشرف له

وإكرم ، طائرتك يا أستاذ خيرى لا تروقنى .. لا أشعر تجاهها بالارتياح ! .

بدأ يحس بكلماتها تنساب داخله كجسد ثعبان أملس ، ولكى يمنع نفسه من البكاء فتح فمه وضحك ، لكنها تستطرد :

— لم أكن أود إحراجك لكنك لم تترك لى خيارا .. هل نسيت من أين جاءتك النقود ؟ ، انك وقد هان عليك بيع جزء من جسدك .. سيكون أهون عليك أن تبيعنى أنا أيضا .. إذا ما دعت الظروف ! ..

صاح : هذا منطق ظالم .. كنت أعتقد أن ما فعلت يحسب لى وليس على ، ظننتك ستقدرين عمق حبى لك من تضحيتى بكليتى فى سبيل الوصول إليك ! ..

هزت رأسها : انت لم تحبنى بل لم تحب سوى نفسك ، ولم تفعل ما فعلت كى تصل إلى ولكن لتصل للطريق السريع والسهل كما قلت بلسانك ، لقد كنت تستطيع الوصول إلى بالفعل فى تلك المدينة الجديدة لكنك فضلت الاستسهال العاجل حيث لا يمكنك أن تطيق هذا الطريق الشاق الوعر .. مع انه طريق الرجولة الحقة ..

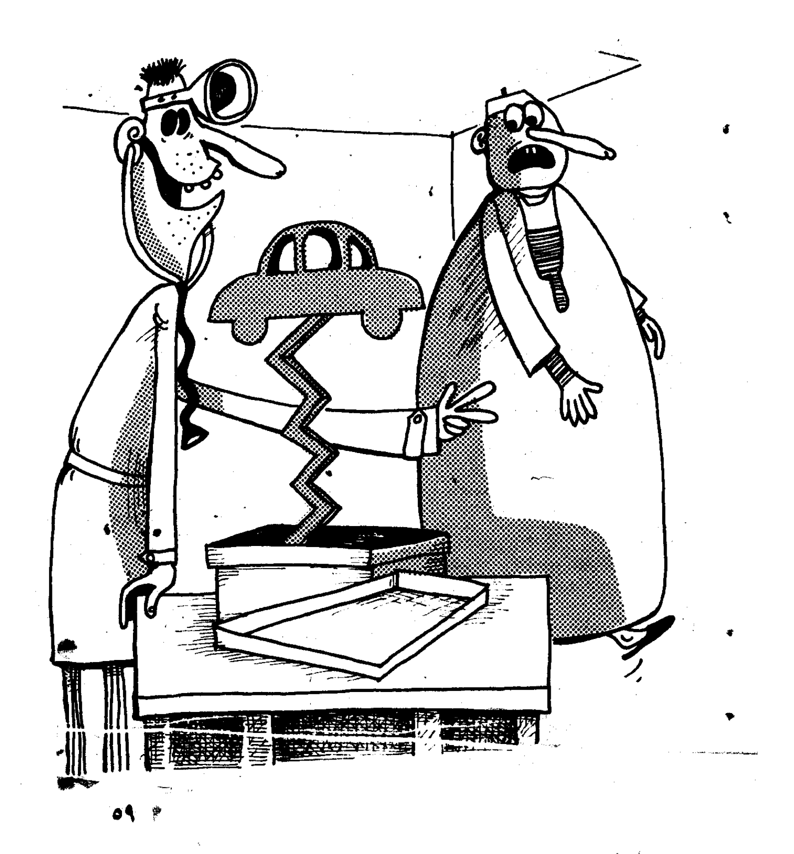
بدأت الأرض تميد تحت قدميه .. حيث خيل إليه وكأن ناموس الحياة قد اختل ، فلم تعد الأمور تسير سيرها الطبيعى ، مؤكد أن هويدا ـ وهى تلعب دورها ـ قد خرجت عن النص !! ..

قالت هويدا تنهى الأمر وهى تتأهب للانصراف :

— قلت لك اننى لا أصدق زعمك بالتضحية فى سبيلى ، لكن حتى لو كان صحيحا أنك ضحيت بقطعة من جسدك من أجلى فقد ضحى مجدى برحلة كفاح وعرق .. وصدقنى .. نقاط العرق .. أثمن وأغلى ! ..

● ● ●

أهلا بالبطل



بدخوله انقطعت كافة المناقشات التى كانت دائرة فى غرفة الصالون المتسعة الأرجاء .. هب صاحب الشقة ليلقاه مرحبا بحرارة .. ثم انثنى يقدمه للحاضرين :

— الدكتور أحمد طاهر .. صديق عزيز قديم .. التقيت به من أيام بعد فراق طويل لأكتشف أنه ـ ويا للصدفة السعيدة ـ قد أصبح جارا لنا .. استأجر الشقة التى خلت بالدور السادس من عمارتنا .

تمتم كل واحد من الحاضرين بكلمة ترحيب صغيرة ثم سادت فترة صمت قطعها أحد الحاضرين متسائلا :

— والدكتور ياترى .. عنده سيارة ؟

قبل أن يرد الدكتور أسرع مضيفه يجيب نيابة عنه :

— لا .. الدكتور لايمتلك سيارة .

نظر اليه الدكتور أحمد بدهشة وهو يقول :

— لكن عندما التقينا منذ أيام ـ ذلك اللقاء بعد الغيبة الطويلة الذى حدثت الحاضرين عنه ـ كان ذلك فى جراج العمارة .. وكنت أهم بركوب سيارتى ، اننى حتى أذكر أنك أبديت اعجابك بها .

— صدقونى أنا .. الدكتور احمد لا يمتلك سيارة ولكن .. تحفة .. تحفة نادرة المثال وأى شخص سواى يرى تلك التى كنت تهم بركوبها فانه لا يمكن أن يطلق عليها سيارة .. يظلمها .. يبخسها حقها .. !

انقشعت الدهشة عن وجه الدكتور أحمد وهو يضحك عاليا بينما أردف الأستاذ كامل قائلا :

— تكييف ايه .. وراديو .. وتليفزيون و.. و .. آه .. والاروع .. لونها .. وملمسها حرير يا سادة .. وفورمتها .. آخر صيحة .. و آخر اضافات .

كشفت ضحكة الدكتور أحمد عن سعادته وهو يقول :

— انها هى التى خرجت بها من بعثة أمريكا ، كل زملائى اشتروا أشياء كثيرة .. ثلاجات .. خلاطات وغيره وغيره .. أنا لم أكن أهتم بهذه الأشياء .. وضعت كل مدخراتى فى هذه السيارة .. آسف يا أستاذ كامل .. التحفة اياها !

تبادل الحاضرون النظرات وفجأة قال أحدهم :

— خســارة ... !

بعدها انهالت التعليقات من باقى الحاضرين :

— لا حول ولا قوة إلا بالله .. !

— عليه العوض .. !

— شىء مؤسف حقا .. !

— أتفعل عيون الناس كل هذا ؟

— عوضك على الله يادكتور .. !

— معلهش .. فداك كل شىء .. !

بدأ القلق على وجه الدكتور وهو ينقل نظراته بينهم بتوجس .. غمتم :

— ما هو الموضوع ؟ هل حدث شىء لسيارتى ؟

وعادت الردود تتوالى :

— ليس بعد .. !

— لكن سيحدث .. !

— قريبا جدا ان شاء الله .. !

— لا تتعجل على رزقك .. !

صاح الأستاذ كامل :

— يا جماعة .. لقد أرعبتم الدكتور .

قال الأخير :

— لا .. أبدا .. فقط أفهم .. !

بدأ الأستاذ كامل يحاول الشرح :

— لعلك لاحظت أن جميع الحاضرين يقطنون نفس العمارة .. لم يأت هذا الاجتماع اعتباطا ، وانما قمت بتوجيه الدعوة اليه لنبحث جميعا موضوع سايس الجراج عسى أن نجد له حلا .. انه يدفع السيارات أثناء تنظيفها .. بلا مبالاة فتكون النتيجة جروحا وخدوشا وكدمات .. لكل السيارات .. !

صاح أحد السكان الحاضرين مقاطعا باحتداد :

— احتج على تعبير « لا مبالاة » .. إذ انه ليس كافيا .. كان كل تهمته الاهمال .. ولو كان ذلك حقا لأصيبت بعض السيارات ونجا بعضها الآخر .. أما والأمر كما ترون .. لم تسلم سيارة واحدة من اصاباته .. فانني أؤكد أنه يتعمد ذلك .. وبإصرار مسبق .. !

قال الدكتور أحمد نافد الصبر وحيرته تزداد :

— ولكن لماذا ؟

— هذا ما لا أحد يدريه .. طراز غريب من البشر .. لا يسعده أن يحظى برضى عملائه .. وانما على العكس .. يسعده أن يثير غضبهم .. واسأل الجميع .. كل منا لاحظ بوضوح انه يقابل ثورته وصراخه بابتسامة هادئة .. ولمعة شيطانية غريبة تبرق فى عينيه .. رأيى الشخصى انه يسعده أن يرى نفسه وهو الشخص المتواضع .. بل الوضيع .. يستطيع أن يحرق دم من هم فى نظرة علية القوم .

— وكيف تسكتون على هذا ؟

— نحن طبعا لم نسكت .. ومسبقا قبل أن تشير علينا بنصائحك .. فاننا أعلناه بغضبنا وشتمناه وهددناه وشكوناه

لصاحب الجراج وعملنا له اكثر من محضر إتلاف فى قسم البوليس .. وبعضنا حجز من إيجار الجراج ما اصلح به خبطاته .. وفى الاتجاه المضاد حاولت معاملته بالحسنى واخذه بالحيلة .. لكن لا هذا نفع ولا ذلك اجدى .. وعندما عاملته بذوق لدرجة أن ناديته « يا استاذ » ثار وخبط سيارتى بشدة .. آه .. نسينا أن نقول لكم أهم ما فى الموضوع .. هذا السايس شقيق زوجة صاحب الجراج .. وقد حدث أن ضاق يوما بشكاوانا منه ففصله .. لكنه لم يلبث أن أعاده للعمل بعد أيام متعهدا للشاكين بأن غلطاته لن تتكرر .. على ما يبدو أن زوجته غضبت منه وأغلظت له القول ونكدت عليه .. وعلى ما يبدو ايضا انه ضعيف الشخصية حيالها .. المهم انه بعدها تاب عن تلك الفعلة ولم يقدم على فصله ثانية أبدا .. والآن يقابل شكاوانا بالاغراق فى الاعتذار والملاطفة ، انه يتحمل اللوم والتعنيف .. واحيانا بعض الاصلاحات فى سيارات العملاء .. لكنه يأبى أن يذهب الى ما هو ابعد من ذلك .

اكمل ساكن آخر :

— وفى القسم عجزت عن إثبات شىء ضده فاخذوا عليه تعهدا .. وخرج ثانى يوم ليجلس على الرصيف المقابل للعمارة واخذ ينادى صاحبة كشك السجائر والمثلجات الملاصق لها « ها أنذا يا أم شندى .. لقد حضرت خصيصا لأغيظكم .. أنا أكبر منكم .. عموما السجن للجدعان » بعدها .. ضاعت بعض الأدوات من سيارتى ، وعجزت أيضا عن إثبات فعلته .. !

— لكن هذه وقاحة شاذة ..

قاطعه ساكن ثالث :

— وبلطجة وقلة أدب وكل شىء .. ولكن ماذا عسانا نفعل ؟ .. الحل الوحيد ترك الجراج .. لكن أحداً لم يفعل .. كما لاحظت طبعا العمارة فى مكان ناء .. واقرب جراج لها يبعد أكثر من كيلو متر ..

فمن منا يستطيع أن يقطع هذه المسافة على قدميه .. ذهابا وإيابا ؟

— يخيل الى أنكم درتم كثيرا حول الحل السليم ولم تحاولوا الوصول اليه .. الأمر يستلزم النظر الى ما هو أبعد من مواطىء أقدامنا .. ان النفس البشرية عميقة الأغوار .. وفى الاستطاعة دائما إيقاظ الانسان فى كل شخص .. ولو أردتم ..

قاطعه أحد الموجودين وقد شعر أن الدكتور يحاول أن يتفلسف عليهم فيصدعهم بمحاضرة عقيم مهما حاول أن يختار لها ألفاظا رنانة طنانة .. قال :

— قرب موعد انصرافنا ولم نصل الى شىء بعد ولن نصل،إذا كان كل ما نستطيع أن نفعله هو الكلام .. أحس الأستاذ كامل بما يخالج فكر الضيف المتذمر .. وبأن هذا هو تقريبا شعور جميع الموجودين .. فأسرع يوضح لهم :

— نسيت عندما قدمت لكم الدكتور أحمد أن أذكر أن تخصصه هو علم النفس من أكبر جامعات أمريكا .. وأنه كان أول دفعته حتى أن الجامعة طلبته ليكون ضمن أعضاء هيئة التدريس بها لكنه اعتذر ، هو لم يقل لى شيئا من ذلك .. لكن عددا من جرائدنا ومجلاتنا نشر العديد من الأخبار والمقالات المدعمة بالصور عن تفوقه وامتيازه .. ونبوغه وعبقريته للدرجة التى أصبح معها حديث المجتمع الراقى والأوساط الطبية هناك على السواء .

صاح بعض الحاضرين :

— آه .. نعم ..

— حقا .. لقد تذكرت هذه المقالات .

— منذ دخوله وأنا أتساءل أين رأيته ؟ والآن تذكرت ما كتب عنه .

وقال أكثر من واحد باهتمام شديد :

— هيه .. ماذا كنت تقول ؟؟

فجاة تطلعت اليه الأعين فى لهفة منتظرين ما سيتلفظ به الى أن قال الدكتور أحمد وهو يغضى حياء :

— أقصد أن هذا الشخص مريض وليس مجرما .. تشعرون انه وضيع للدرجة التى وصفه معها الأستاذ محمود بالحشرة الحقيرة .. وكل تصرفاتكم تشى بذلك .. حتى عمقتم فى نفسه الشعور بالضعة .. إنه لا يحاول أن ينتقم .. لكنه يريد أن يشعر بنفسه .. بآدميته .. عن طريقْ امكانيته الوحيدة .. ورأيى أن نعامله كآدمى .. وليس كحشرة .. !

— قلت لك إننى ذات مرة عاملته بلطف مع ذلك ..

قاطعه :

أجل .. يوم ناديته بالأستاذ ؟ .. لقد شعر - وكان ذلك واضحا جدا - أنك تسخر منه فأنت تعلم تماما كما يعلم هو .. أنه ليس أستاذا بالمرة ! هذه الحالة تروقنى .. هل تتركونه لى ؟ ستكون هذه أول حالة أباشرها فى بلدى .. !

ورحب الجميع .. ومن ثم التفوا حوله يسمعون نصائحه وتوجيهاته .

وبدأ الدكتور علاجه من فوره ، كثير من جيرانه ضحك ووصفه بالسذاجة ، قال أحدهم لجار آخر :

— أهذا كل ما هناك .. عندما يجد سيارته غير نظيفة يعتب عليه بهدوء ثم يروح يمازحه ؟ ! .. كلنا عاملناه هكذا أول الأمر .. وربما لهذا طغى واستأسد ..

— لا ولا تنس أحاديثه معه فى السياسة والكرة مع السيجارة اليومية الفاخرة .. !

— لم يبق إلا أن يحدثه فى آخر المذاهب الفنية .. ويسأله عما إذا كان يفضل الأدب التقليدى أم أدب العبث .. !

رغم كل سخريتهم .. فانهم عملوا بالمثل القائل « خليك مع علم النفس حتى باب الجراج » ، لكن النتيجة جاءت رائعة .. اذهلت الجميع .. حتى الدكتور ذاته ! لم تمض شهور إلا وكان زكريا شخصا آخر .. شخصا آخر بالمرة .. لا يمت لزكريا القديم باية صلة .. ليست تصرفاته فقط هى التى تغيرت .. بل كل شىء فيه .. حتى طبقة صوته .. اصبحت منخفضة .. واختفت من عينيه نظرة التحدى الوقحة .. !

نتيجة فاقت توقعات اشد الجيران تفاؤلا وتحمسا .. وفاقت آمال الدكتور نفسه ، إن كل ما كان يامله ان يكف عن خدش السيارات ويهذب بعض الشىء من خشونته اما ان يحدث الجميع بكل ذلك الاحترام .. اما ان يعرف مواعيد نزول السكان ويحرص على تنظيف سياراتهم وتهيئتها قبل تلك المواعيد ، اما واما واما .. كل ما اصبح عليه زكريا من دماثة وهمة واعتناء بعمله .. وصل الىّ درجة التفانى فيه فذلك ما لم يطمع فيه ابدا ، ولو انّ الجيران لم يعهدوا اليه بعلاج زكريا فقط .. وانما حولوه الى عجينة طيعة القوا بها بين يديه .. ليشكلها على هواه .. لما استطاع أن يشكلها على صورة أفضل مما صار عليها .. !

اصبح كل جار يلتقى به يشد على يده مهنئا .. وتوالت عليه الألقاب « أهلا بالبطل .. المنقذ .. صانع المعجزات .. ! » أحدهم همس اليه :

— هل تستطيع ان تفعل مثل هذه المعجزة مع زوجتى !!

أما الدكتور احمد فكان يعيش أجمل واحلى أيام عمره .. سعيدا بهذاالنجاح الساحق لأول حالة يتولاها فى مصر .. وينظر الى المستقبل فيجده باسما مورقا .. فانه رغم النجاح الكبير الذى حققه على مدى عشرات الحالات التى تولى علاجها فى الخارج .. سواء وحده او تحت إشراف اساتذته منذ عام البكالوريوس حتى حصوله

على درجة الدكتوراه فانه كان متهيبا للغاية ممارسة العلاج مع ابناء بلده .. أمر قد لا يحسه سوى الأطباء النفسانيين فالأجساد بكافة أجهزتها وعملياتها البيولوجية لا تكاد تختلف اختلافا يذكر ما بين دولة ودولة .. اما العلل النفسية فانها ترتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة والطباع والتقاليد والقيم والاهتمامات الخ الخ .. وياله من بون شاسع بين كل ذلك فى مصر ونظائره فى أمريكا ، من أجل هذا كان يخشى ألا تحقق النظريات التى درسها هناك نفس مفعولها هنا ، لذلك كان لنجاحه مع زكريا نفس طعم نجاح الطالب الصغير فى امتحانه الأول .. !

ويبدو أن تحيات جيرانه الفردية لم تكفه فانتهز أول مناسبة .. عيد ميلاد طفلته الوحيدة نانسى ـ ودعا جميع جيرانه الى فنجان شاى فى شقته .. كانت ليلة رائعة من جميع الوجوه .. الجو ربيعى منعش .. زهور المشمش الفواحة عطرت الجو بسخاء كأنما عشرات من زجاجات العطر الثمينة قد سفحت تحت أقدام نانسى الغالية . حتى القمر أبى إلا أن يشارك فى بهجة الليلة فاكتمل بدرا يغمر بأشعته الضوئية أرجاء الكون . الموائد مدت بطول الصالة وقد حفلت بما لذ وطاب تحت سقف زين بالبالونات والأوراق المذهبة والمفضضة التى تدلت فى تشكيلات بديعة .

وبينما الطبيب البارع مع ضيوفه منتشيا بكلمات الاطراء التى اغدقوها عليه وقعت زوجته فى اشكال ، رغم كميات الحلوى التى استحضرتها فان عدد الضيوف قد فاق كل ما توقعته وما جهزته .. وأسرعت ترسل شغالتها الى محل الحلوى لتاتى بالمدد ، ويقترب موعد افتتاح البوفيه ولم تحضر الخادمة بعد فتسر لزوجها :

ـــ المحل بعيد .. ألا تذهب اليها بالسيارة لتسرع بالحلوى ؟

لكن الزوج يرفض أن يترك ضيوفه أو بالأحرى يرفض أن يترك الحلبة التى كان فارسها الأوحد وبطلها بلا منازع ولو لدقائق .

فى الحقيقة لم يكن بعد المحل هو سبب تأخر جمالات ولكنه .. زكريا !! تتبعها حتى انتهت من الشراء ثم اعترضها بعيدا عن المحل والمارة ليقول لها :

— اسمعى .. لم أعد أطيق الانتظار على بعادك أكثر من ذلك .. ان حبى لك يزداد يوما بعد يوم .. ولن تستطيع قوة أن تمنعنى عن طلبك من سيدك الدكتور غدا .

— عندما كنت أطلب منك الانتظار كان ذلك لصالح حبنا .. حين سكنا العمارة حديثا كان الجميع يتقولون عليك .. (وش أقسام) مثير للمشاكل .. الخ الخ .

— واستطعت اقناعى بالتريث حتى أكتسب ثقته .. وحسنا دبرت ، أنا من جهتى فعلت كل ما يمكن أن يوصلنى لذلك .. عربات السكان كلها كوم وعربته كوم آخر وحدها .. هى عروس الجراج بحق نظافة ولمعانا وضياء ، أكثر من ذلك فكم تحملت من سخافاته .. يحدثنى عن الانتخابات فى بلاد الانجليز والمنافسة بين حزبين أحدهما اسمه العمال والآخر المحافظون . وغير ذلك من موضوعات غريبة .. بالله عليك ما شأنى أنا وهذاالهراء ؟ ! لكنى دائما أسايره وأبدى اهتماما بما يقول بل اننى ارضيت - أيضا - جميع أصحاب السيارات بالجراج .. من ناحية كى أحصل منهم على بقشيش كامل وزيادة فأستطيع جمع المهر فى فترة أقل .. ومن ناحية اخرى حتى لا يجرنى أحدهم الى القسم فأصبح فى نظر الدكتور غير جدير بك .. خاصة وقد علمت أن والدته هى التى ربتك وأنه يعتبرك بمثابة قريبة عزيزة يضن بها على من لا يراه صالحا .

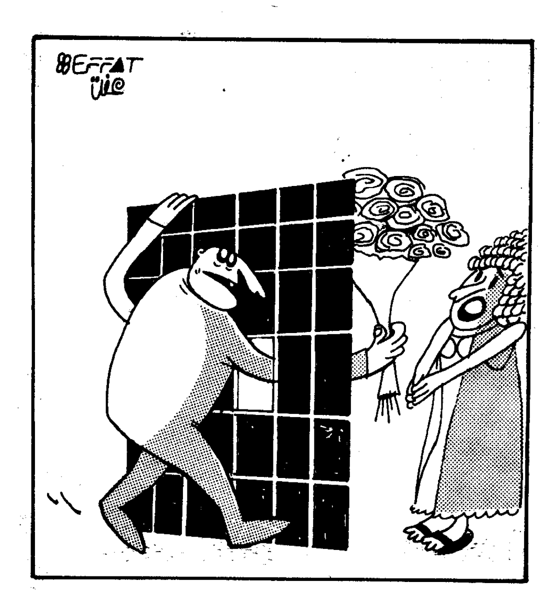
— نعم .. وكم رفض خطابا لم يقتنع بهم .

— أنا لن يرفضنى .. لن يسمع عنى كلمة سوء واحدة من أى جار ، أنك لم ترينى من شهور .. كنت أعطى الجميع فوق أدمغتهم .. وكلما كلمنى أحدهم كلمة .. رددتها له عشراً .. حبك بدلنى تماما ففى

سبيل الوصول اليك غيرت كل طباعى .. الآن أصبحت أعامل الكل .. المتعجرف والرذل والجعجاع .. و « أبو جنونه » .. أعاملهم جميعا باحترام .. وكل ذلك من أجل خاطرك وسواد عيونك يا ضى عينى !

حسنا إذن فعل الدكتور أحمد طاهر عندما رفض مشورة زوجته ولم يذهب خلف جمالات .. من يدرى .. ربما لو فعل .. لسمع حديث زكريا لها .. أو بعضا منه ولما استمرت - بالتالى - سعادته بقية الحفل الشائق ، وهكذا .. الاسم لطبيب علم النفس العظيم .. والفعل الحقيقى للطبيب الأعظم .. الحب .. !

ο ο ο



باقة زهور مجهولة

اتصل بى صديقى الأثير جدا .. محمود عبد الفتاح .. ليدعونى والأسرة إلى حفل عيد زواجه الخامس عشر ، وأفهمته اننى أعانى من نزلة برد خفيفة .. قد تعوقنى عن الحضور .. وان كنت قد أكدت له أن « سهام » - زوجتى لابد ستحضر الحفل .. مصطحبة ولدى .. أحمد ومنى ، لكن محمود احتج بشدة :

من غير المعقول أن يكون هناك احتفال وانت عنه غائب ! ، ماذا سيكون طعمه ؟ .. لن يكون له بهجة ولا حبور ، اسمع .. خطرت لى فكرة .. سأؤجل الحفل أسبوعا واحدا حتى تتماثل للشفاء ..

صحت فيه :

— معقول هذا يا محمود ؟ ! ، وباقى الأصدقاء والأقارب الذين دعوتهم بالفعل ؟

— لا عليك .. سأحدثهم مرة أخرى لأخبرهم بالموعد الجديد .

— لا لا .. لا أجد داعيا لكل هذه « الربكة » والمعاناة ، عموما مازال باقيا على موعد الحفل الأصلى أربعة أيام .. وغالبا ستكون نزلة البرد قد تحسنت كثيرا .. ومن ثم فمن المؤكد اننى سأستطيع الحضور .

وضعت سماعة التليفون وأنا اضحك سعيدا بمحبة محمود لى وان خالطت سعادتى مرارة .. ككل مرة أشعر فيها بإعزاز محمود يطوقنى .. خجلا من خطئى الشنيع فى حقه .. منذ أعوام طوال ، لدرجة أننى فكرت أكثر من مرة أن أعترف له بفعلتى .. فى محاولة لإراحة ضميرى مما يثقله .. والتخلص من ذلك العذاب الذى ادخرته طويلا فى دهاليز أعماقى المظلمة ، لكنى فى كل مرة .. كنت أعود وأجبن عن البوح .. متعللا بعدم وجود أى جدوى يستفيدها محمود من اعترافى ، المحصلة الوحيدة لهذا الاعتراف .. ستكون فى تقويض أواصر الصداقة بينى وبينه ! ..

تلك الصداقة النادرة التى استمرت عشرات السنين .. فحتى اليوم .. مازالت العلاقة على أشدها بينى وبين محمود .. كما كنا ونحن نخطو طريق الحياة منذ بدايته .. معا . بل ربما تكون ازدادت توثيقا .. بعد أن جمعت الصداقة الوطيدة والتفاهم العميق والمحبة الخالصة بين زوجتينا ، حتى أبنائى .. أصبحوا أصدق الأصدقاء لأبنائه .. لدرجة أنهم لا يكادون يفترقون يوما واحدا ..

خاصة وقد وحدت بينهم هوايات مشتركة .. مما ذكرني بنفسي ومحمود عندما كنا في مثل عمر أولادنا ..

جمعت بيننا الجيرة أولا .. ثم الدراسة بمختلف مراحلها .. حتى الثانوية العامة .. حين ظننا أننا أخيرا سنفترق ، حيث بدأ واضحا ميله للمحاسبات .. لذا كان أمله أن يلتحق بكلية التجارة .. في حين تمنيت أنا أن أدخل كلية الهندسة ، لكن مجموعي جاء مخيبا لآمالي ، ورغم ذلك لم نتمالك نفسينا من الضحك عندما جمع مكتب التنسيق بيننا في كلية التجارة .. فعدنا نتزامل مرة أخرى ! ..

ولما كنا نذاكر معا .. فانه لم يكن مستغربا أن تكون نتائجنا متشابهة في أغلب المواد ، حتى بعض المواد الصعبة كنا نتخلف فيها معا ، وكان هذا الاتفاق العجيب يثير ضحكاتنا وسرورنا ..

شيء واحد لم يسعدنا قط اشتراكنا فيه .. حبنا لزميلتنا « سهام » ، عندما وصلنا للسنة الثالثة .. التحقت سهام بالسنة الأولى بنفس كليتنا ، كانت شعلة من المرح والحيوية .. حتى أنها اشتركت في العديد من الأنشطة الرياضية والثقافية بالكلية ..

ولأول مرة في حياتي أشعر بنبضات قلبي خفاقة مترنمة تحب فتاة حبا حقيقيا وليس انجذابة عابرة كمثل سابقاتها ، ومضيت أنسج الآمال وأنا أحاول التقرب منها في بعض رحلات الكلية أو حفلاتها .. وشغلتني هذه المحاولات حتى ابتعدت قليلا عن صديق العمر محمود .: لأكتشف بعد فترة - ويالهول ما اكتشفت - أنه هو بدوره غارق حتى أذنيه في حب فتاتي .. التي بنيت على حبها كل أحلامي !! ..

وكانت القطيعة الأولى بيننا .. بعد أن صورته لنفسي بالغادر والجبان الذي لا يرعى للصداقة حرماتها .. رغم تأكدي التام أنه لم يكن ليعلم قط أي شيء عن مشاعري تجاه سهام .. حين اتجه بمشاعره هو إليها .. لكن يبدو أن للقلب منطقا هيهات للعقل أن يفهمه !

بعد انتهاء توهج شرارات الغضب فى نفسينا .. كان لابد ان نلتقى عند لحظة مواجهة ، مع ذلك صحت فيه بانفعال :

— أنا الذى أحببتها قبلك .. لذلك وجب عليك انت أن تنسحب بشرف ..

صاح هو بدوره :

— بل أنا الذى أحببتها من أول يوم جاءت فيه للكلية .. ولذا فعليك أنت الانسحاب ! ..

ظللنا نتصايح برهة حتى توصلنا للحل الأمثل ، الغريب انه خطر لكلينا فى نفس اللحظة .. قلت أنا هاتفا :

— لقد نسينا شيئا هاما .. رأيها هى ..

فى نفس الوقت قال محمود : لماذا لا نسالها عن مشاعرها هى ؟ ..

عند ذلك لم نملك نحن الاثنين نفسينا من الضحك ، وانتهى اللقاء ونحن نتعانق .. بعد أن هدأت أحاسيسنا ، نعم كلانا يحبها لكن الأهم من تحب هي ؟ ومددنا أيدينا نتعاهد .. لكل منا مطلق الحرية أن يحاول استمالتها .. فإذا استجابت لأحدنا .. كان على الثانى أن يترك الميدان بهدوء .

وكان هذا ما حدث فعلا .. عندما تجاوبت سهام مع عواطفى .. وصارحتنى بانها تبادلنى شعورى .. كف محمود فورا عن جميع محاولاته معها .. بل وبارك حبنا ! .

وإذا كانت الأمور قد سارت هكذا بسهولة ويسر فى شئوننا العاطفية .. فانها لم تكن كذلك فى باقى شئون حياتنا .. خاصة الحالة السياسية بالبلد ، لم تكن ترضى أحدا ، الكل ثائر .. الكل ساخط .. الكل متذمر ! .. لذلك كثرت الجمعيات السرية بين الشباب عامة .. والطلبة على وجه الخصوص ، وان كانت الأغلبية قد اكتفت بمحاربة الطغيان بقلوبهم .. لا عن ضعف فى الإيمان .. ولكن

لانصرافهم للدرس والتحصيل .. اقتناعا منهم بأن الحصول على شهاداتهم - أو سلاحهم - أولا .. ثم محاولة إصلاح الخلل بعد ذلك .. افضل لهم ولبلادهم .. ضمن هذه الأغلبية كنت انا ومحمود .. الم اقل من أول الأمر ان أفكارنا واتجاهاتنا كانت دائمة متوافقة ؟
« لكن بعدنا عن هذه التنظيمات لم يعصمنا من التعرض لبطش البوليس السياسى ، الذى كان على ما يبدو يقبض على الطالب منا أولا .. ثم يتحرى عنه بعد ذلك !!

فجاة وجدتهم يقبضون على ويرحلونني إلى أحد المعسكرات وتمر الأيام ولا أحد يحقق معى ، ويبدو أنه لم يكن كافيا لعذابى حزنى على العام الدراسى .. الذى أوشك أن يضيع علينا ، إذ بدأ القلق على سهام يفرى قلبى .. ويذود النوم عن عيونى ..

أكبر ما كان يقلقنى خشيتى من صديقى ومنافسى اللدود محمود .. اليس محتملا ان يجد الجو قد خلا له فيعاود محاولاته معها ؟ ، وحتى إذا اعتصم محمود بحبل الشرف والوفاء فالخطر يظل قائما .. من جهتها هى ، خاصة ولم يكن بينى وبينها أى ارتباط بعد .. سوى الوعد ، طبعا بعدى عنها سيشعرها بالوحدة .. والوحدة قاتلة .. ويحتمل أن تدفعها للبحث عمن يملأ فراغ أيامها .. ولماذا تبحث ومحمود موجود ؟ ..

كاد هذا الخاطر يصيبنى بالجنون .. حيث راح يتمثل لى ليلا ونهارا .. وكل لحظة فى أوقاتى .. وماذا كان عندى يشغلنى غير التفكير ؟ .. وإلى أى منحنى يتجه التفكير سوى لحبيبة القلب ؟ ..

بل يبدو أن التفكير قد انتهى بى إلى الجنون فعلا .. حتى أقدمت على تلك الفعلة الحقيرة .. التى مازالت تؤرقنى حتى اليوم ، فرغم شكرى الكبير لله أن كل شىء قد انتهى على خير ما يرام .. إلا أن ضميرى كثيرا ما يلذعنى بانه كان من المحتمل أن تترتب على فعلتى هذه كارثة .. ربما أودت بمستقبل صديقى .. أو معنوياته .. وحتى

حياته فكم سمعنا وقرأنا بعد ذلك عن مآس حدثت لشباب مظلوم ..

لكنى لحظتها لم أفكر فى شىء سوى إبعاد محمود عن طريق سهام كلية .. خشية أن يستطيع استمالتها فى غيبتى ، لذلك فاننى فى أول تحقيق أجرى معى - وان نفيت اشتراكى فى أية تنظيمات - أجبت عن المكان الذى اجتمع فيه بأصدقائى إنه .. بيت محمود ! ، وهى تهمة يعرف خطورتها كل من لديه فكرة ولو بسيطة عن الجو الذى كان سائدا أيامها ..

خدرت ضميرى . بانهم لا شك خلال بحثهم وتمحيصهم ستتبدى لهم براءة محمود .. فى نفس الوقت الذى تنكشف لهم فيه براءتى .. فيفرجون عنا معا وبذلك - وهذا هو المهم - لا « يستفرد » محمود بسهام ! ..

نتيجة فعلتى عرفتها بعد ذلك بأسابيع .. من محمود نفسه ، الذى جاء يزورنى فى الحجز ، لم يقبض عليه ! ، نعم خاب تدبيرى لسبب لا دخل لى فيه ، ربما كان سببه نية محمود الطيبة .. وصفاء قلبه من شوائب الحقد ..

لذلك قيض الله ضابط شرطة وطنيا .. يتمتع بحس إنسانى عميق ، فرغم أن تفتيشه للشقة لم يسفر عن وجود أى شىء يدينه .. إلا أن أمر النيابة الذى يحمله .. كان صريحا بإلقاء القبض على محمود ، وترحيله إلى حيث يستكمل وكيل النيابة التحقيق معه فى الصباح التالى ، وكاد محمود ينهار وهو يذكر للضابط أن امتحانه يبدأ فى صباح الغد .. وأن اصطحابه إياه يعنى ضياع تعب العام كله هباء منثورا ..

هنا حدثت المعجزة .. رق له قلب الضابط .. وبحسن تصرفه توصل إلى حل سعيد ، حيث اتصل بوكيل النائب العام فى منزله .. ليعرض عليه أن يتولى هو التحقيق مع المتهم وعندما رأى الوكيل اهتمام الضابط بمستقبل الطالب المتهم .. لم يرد أن يكون أقل

إنسانية ، من ثم وافق على الفكرة .. على أن يملى عليه الأسئلة تليفونيا .. حيث يوجهها للمتهم .. ثم يبلغ الوكيل بردوده عليها ، بل وتطوع بأن يكتب هو بنفسه الأسئلة والأجوبة .. لعدم وجود كاتب نيابة معه بالطبع !!

وهكذا تم أعجب محضر .. ربما فى تاريخ التحقيق القضائى كله ، بل وربما لم يخطر حتى لمؤلف تليفزيونى ، بإجابات محمود اقتنع وكيل النيابة ببراءته التامة .. وعدم وجود أية أدلة على انتمائه لأى تنظيم ، لذلك أصدر أمره للضابط بالإفراج عنه فورا .. أو بمعنى آخر بتركه فى منزله وعدم اصطحابه للحجز ..

الحقيقة رغم فشل خطتى إلا أن براءة محمود قد أسعدتنى - حيث لمت نفسى كثيرا بعد شهادتى عليه فما كان منى إلا أن قمت إليه وقبلته مهنئا بنجاته من الاتهام ، وأنا أعزى نفسى بأننى على أى الأحوال لن أحصل على أكثر مما قسم لى ، فإذا كانت الأقدار قد قضت أن تكون سهام من نصيب محمود .. فلن تبعدها عنه خطط الدنيا كلها ! ..

على أن محمود - الذى لم يشك قط فيمن دل عليه - كانت أخلاقه أرفع كثيرا من أن ينتهز فرصة غياب صديقه ليستولى على فتاته .. على العكس .. كرس كل جهده من أجل القيام بخدمات لى وقضاء بعض مصالحى ، بل وكان خير رسول بينى وبين سهام .. التى كان يبث فيها روح الشجاعة .. حتى لا تفقد الأمل فى خروجى بريئا ..

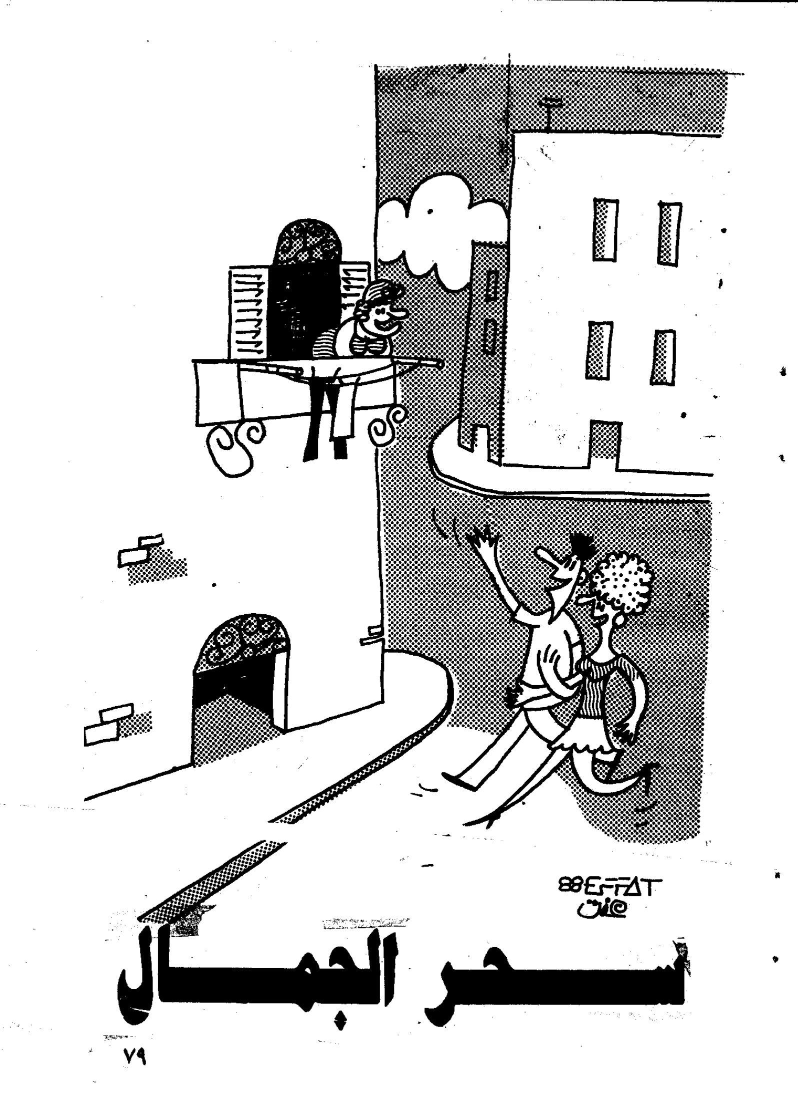
وبالفعل .. لم يجد المسئولون أى مأخذ على .. فكان أن أفرجوا عنى ، ويستخف محمود الفرح بخروجى .. فيعلن عن عزمه على إقامة حفل كبير لإتمام خطبته إلى « هناء » .. التى كان قد ارتبط معها بقصة حب رقيقة .. لكنه كان يرفض إتمام الخطبة .. مادمت غائبا خلف القضبان ..

× × ×

وإذا كان ضميرى لم ينس حتى اليوم .. ولم يغفر غلطتى فى حق صديق العمر .. رغم انها لم تتم .. فماذا عساه كان يفعل بى .. لو أن محمودا قد اعتقل وعذب وأهين .. وأيضا ضاعت عليه السنة بسببى ؟ .

لذلك لم يكن غريبا أن أسأل عن اسم ضابط الشرطة الشهم .. الذى أنقذ محمود ليلتها - فانقذنى بالتالى - كى أسجله عندى ، ثم أنتهز فرصة نشر خبر ترقيته لمنصب هام .. فأرسل إليه باقة زهور كبيرة .. مرفقا بها بطاقة تحمل أجمل التهانى وأطيب الأمانى .. لكنها خلو من أى اسم ، ويعتقد انه مهما كانت براعة هذا الضابط البوليسية .. فانه قطعا مازال حتى اليوم .. يجهل اسم مرسل هذه الباقة الفاخرة .

● ● ●



سحر الجمال

مرة أخرى يحدث له ذلك . كان معه فى اتوبيس
الشركة العشرات شاهدوا ما جرى من أوله .. عدا
عشرات آخرين من السائرين تجمعوا من كل
صوب .. ولم يحدث لأى فرد من هؤلاء أو أولئك
ما حدث لفريد ! ..

ما الذى يجعل شخصا يختلف فى أحاسيسه
أو ردود أفعاله أو حتى تصرفاته عن شخص آخر ؟ .. هل هى بعض
الصفات الموروثة .. أو المكتسبة عن طريق البيئة مثلا ؟

لكن ماذا عن شقيقى فريد ؟ لهما طبعا كافة صفاته الموروثة .. كما
عاشا فى نفس بيئته .. بل حتى .. شقيقتاه .. عدا اتفاقهما معه فى
كل هذا فهما تزيدان عنه فى رهافة الحس ورقة الأعصاب المأثورة
عن الجنس اللطيف .. مع ذلك فإن أحدا من هؤلاء الأخوة والأخوات
الأربعة جميعا .. لم يحدث له هذا الأمر مرة واحدة .. !

عندما تكررت له هذه الحالة فى بداية شبابه .. ذهب به والده
لأكثر من طبيب فالطبيب الباطنى أشار بآخر نفسانى .. لكن بعد كافة
الفحوص والجلسات .. هز الطبيب الأخير كتفيه نافيا وجود أية علة
أو حالة نفسانية .

— لايزيد الأمر عن رهافة مشاعر .. وربما مع الايام .. كلما صلب
عوده أكثر .. ربما تماسكت مشاعره اكثر .. لكن ها هو ذا يقترب من
السادسة والعشرين .. ولم تختف هذه الظاهرة الغريبة .. لا أحد
طبعا يحب أن يكون متحجر المشاعر .. لكن أيضا أن تصل رقة
الأحاسيس بشخص إلى درجة أن يغمى عليه لمجرد رؤيته الدماء فى

أى ظرف .. فإنه يكون أمرا سخيفا غير مرغوب فيه على الإطلاق ..

عندما حصل على الثانوية العامة بمجموع كبير .. هتفت أمه بسعادة :

— الرغبة الأولى كلية الطب طبعا ..

واعترض أبوه :

— بل آخر كلية ينبغى لفريد أن يلتحق بها هى كلية الطب فكيف سيدخل المشرحة ؟ ..

لم يقف به الأمر عند حد الاغماء لمشاهدة دماء انسان بل تعدى ذلك للحيوانات .. كما شاهدته بنفسك من اسابيع عندما صدمت سيارة كلبا بالطريق .. بل اننى اعتقد ان ذلك سيحدث له إذا ما رآك يوما تذبحين فرخة !

— لكن الطبيب قال : ان ذلك أمر سينتهى مع الأيام ، وطالب الطب طبعا لا يدخل المشرحة إلا فى العام الثالث أو حتى الرابع .. وإلى أن يأتى ذلك العام ..

قاطعها : الطبيب قال ربما ولم يقطع بذلك .. ولو أنه قطع باختفاء هذه الحالة مستقبلا ، لما صدقته فمن ذا الذى يستطيع أن يضمن أى شىء ؟ ومن ثم فإن التحاقه بكلية الطب بناء على هذا الاحتمال مغامرة غير مأمونة فقد يضطر للنكوص بعد أن يضيع من عمره عدة أعوام .

لم توافق الأم على هذا الرأى بسهولة .. استغرق الأمر من أبيه أياما وأياما .. حيث كان فريد نفسه ميالا للأخذ برأى أمه ، لكن حمدا لله ان استطاع الوالد أخيرا اقناعهما باختيار كلية الصيدلة .. حيث مرت أعوام الدراسة كلها حتى تخرج .. ثم عمل فى إحدى الشركات بعد انتهاء تكليفه بالقوات المسلحة .. ومازال الأمر على ما هو عليه .. بل وحتى ظهر اليوم .. عندما شاهد الحادث الذى أودى بحياة شاب فى مقتبل العمر ، ويبدو أن الأقدار قد تعمدت أن يكون

هو فى مقدمة المشاهدين ، كأنها كانت تعرض مسرحية تراجيدية فاقعة .. واكراما له اعطته مقعدا فى الفوتى لوج ! .. مع أن جلسته يومها - خلال رحلة العودة - جاءت فى منتصف الاتوبيس .. الذى سار فى أمان الله حتى اقترب من منزله ، قبل امتار قليلة ورغبة منه فى عدم تعطيل زملائه كثيرا .. قام من مكانه واتجه إلى المقدمة .. وقف خلف السائق متأهبا .. لمدة ثوان ، ولم يكن باقيا على نزوله غير ثوان أخرى حين وقع الحادث ، ذلك الشاب الذى كان قد لمحه من النافذة المجاورة لمقعده يسير بدراجته وهو يطلق من فمه صفيرا للحن شائع .. يرتمى فجأة بدراجته تحت عجلات أتوبيسه لتتناثر دماؤه على زجاج واجهته .. أمام انظاره تماما !

على ما يبدو .. أن الدراجة داست على زلطة صغيرة بالطريق فاختل توازنها وسقطت مائلة أمام الأتوبيس ، وما أسرع ما كان فريد يترنح .. لحسن حظه كان بعض الزملاء قد هبوا من أماكنهم ليستطلعوا الأمر فتلقفوه قبل ان يسقط على أرض الاتوبيس .. كم أخجله ذلك عندما أفاق .. ألا يكفى الهرج الذى سببه الحادث حتى يشغل الزملاء من حوله بحالته هو أيضا ؟

عندما بدأ يتمالك وعيه أعانه بعض اصدقائه على النزول من الاتوبيس متجهين به إلى منزله .. وهو يسير بينهم شاهد جثة الشاب وسط بركة من الدماء .. وقد تحطم رأسه .. فترنح مرة أخرى وكاد يغمى عليه ثانية !

لايستطيع أحد أن يقدر مدى اللهفة والجزع اللذين أحست بهما أمه .. عندما فتحت الباب لتجد ابنها محمولا من زملائه .. بعد ان كانت قد سمعت فرملة الاتوبيس الزاعقة .. وشاهدت من شرفتها تجمع الخلق ، فى فراشه راح يتنفض بشدة وعرقه يسيل .. وهو يهذى بكلمات متقاطعة كالمحموم .

— غير معقول .. كان ممتلئا بالحياة ، فى ثانية واحدة ؟ ما هذا

ألانسان ؟ .. يفعل كل شيء .. وأي شيء .. يتكلم يتحرك .. يقاتل .. يحب ، في ثوان يصبح لا شيء .. كالتمثال ، لا .. التمثال افضل .. يستطيع صاحبه أن يحتفظ به حيث لا يتعفن وتصير له رائحة فظيعة ما هذا الشيء الذي يغادر جسد الانسان ليصير هكذا ؟ .. ما كنهه ؟ بل ماكنه الحياة كلها ؟

هذا الشاب .. خرج لرزقه .. القفص في مقدمة دراجته ملىء بعلب السجائر ، ودعته زوجته وأولاده .. وربما أمه .. دعت له بالسلامة .. لم تستجب السماء لدعائها كان يغني .. كان سعيدا .. أحضر لاولاده بعض الفاكهة .. ليفرحوا بدخوله عليهم لن يأكلوها تناثرت حبات البرقوق حول جثته .. البرقوق كان ابيض .. وبعضه الآخر يصبح برقوقا أحمر .. بعد ان تدحرج ليغمس في دمه .. كل هذا لان زلطة صغيرة اعترضت طريقه ؟ زلطة صغيرة تنهي حياة انسان ؟ .. حياة طويلة عريضة كم حلم صاحبها بأعذب الآمال .. زلطة صغيرة تغتال سعادة أسرة بأكملها ؟ .. ترمل زوجة ؟ .. تيتم اطفالا .. تثكل اما ؟ .. آلاف الليالي سيقضونها وقلوبهم ملأى بالحزن المرير بسبب هذه الزلطة .. بل بسببها قد يمدون أيديهم قد ينحرف بعضهم . جاءت الزلطة في توقيت محكم .. ولو أنها تأخرت مترا أو تقدمت مترا فربما اختلف الأمر .. لو عطلت الإشارة اتوبيسا ثانية واحدة أكثر ربما لم يقع الحادث .. لكنها إرادة الله .. لكن .. لماذا يريد القدر هذه الحوادث المؤلمة ؟ أهي تسلية ؟ .. ألم يكن يكفيه للتسلية أن يطير الشاب بعيدا فينجو وتكون علب السجائر هي الضحية الوحيدة ؟ ماذا فعل ذلك الشاب ؟ ما هي الجريمة التي ارتكبها لينفذ فيه هذا الحكم القاسي ؟ .. ما هذه الحياة ؟ .. ولماذا نحياها إذا كان مقدرا لها أن تنتهي هكذا في جزء من الثانية ؟ ..

آه .. آه .. استغفرك يا رب .. انني لا اعترض .. لكن الحادث مذهل .. رغم انه يتكرر كل يوم مرات ومرات .. آه يا إلهي .. غابت

عنى حكمتك فسامحنى ..

أمه بجواره تلتقط حبات العرق من فوق وجهه بمنديل وهى تحاول تهدئته .. تربت خديه .. تمسح على شعره ترطب وجهه بالكولونيا . بعد ذلك أفاق فأسرعت تقدم له كوبا من عصير الليمون ، يبدو أن حادث اليوم كان مروعا بصورة أقسى من جميع ما مر به .. حتى انها هى نفسها بذلت الكثير من الجهد فى محاولة افاقته .

بعد الغداء جلست على كرسى بالشرفة تستريح قليلا وتلتقط أنفاسها ريثما ينتهى فريد من غسل وجهه .. سمعت أقدامه تتجه ناحية الشرفة فأسرعت تنظر لمكان الحادث بجزع ، خشيت ان تكون الجثة مازالت موجودة فيراها فريد .. تنهدت بارتياح .. رفعت الجثة من الطريق .. وحتى الدماء تطوع بعض فاعلى الخير بتغطيتها بالرمال التى استجلبوها من العمارة القريبة تحت التشييد ، لم يكن باقيا فى مكان الحادث سوى سائق الاتوبيس وبعض العاملين بالشركة .. ممن كانوا يركبون معه ساعة وقوع الحادث ... ثم عدد من ضباط الشرطة والمرور .. مسح فريد المكان بنظرة عابرة .. ثم تعلقت عيناه بالموقع وهو يتمتم بذهول :

— من هذه الفتاة ؟ .. ليست ضمن موظفات الشركة !

وتمعنت الأم لتجد فتاة حسناء تمسك أوراقا تكتب فيها .. ضحكت :

— هذه لابد صحفية .

عاد فريد يتساءل بدهشة :

— صحفية ؟ .. بكل هذا الجمال ؟

.. ان مجرد وجودها فى أى مكان حدث رائع مع ذلك تختار العمل فى صفحة الحوادث ؟ ! كان الأولى بها ان تعمل بصفحة الفن أو الأدب .. أو حتى صفحات المرأة أو الطفل .

فعلا كانت الفتاة رائعة الحسن بصورة نادرة .. رغم ظروف تواجدها فى هذا المكان .. كانت تبدو فى تحركاتها هنا وهناك كأنها تسير وسط مهرجان من البهاء والجمال .. قالت الأم :

— انها صغيرة جدا .. ويبدو انها فى بداية عملها .

قال فريد فى ضيق :

— رغم الجهد الذى تبذله فإن أحدا من شهود الحادث لا يحاول مساعدتها ...

الجميع يلتفون حول ضباط الشرطة .. ويبدو انهم -وقد ضايقتهم هذه العطلة - يحاولون ان ينتهوا من الادلاء بشهاداتهم حتى يعودوا إلى منازلهم .

فجأة أشرق وجهه .. هتف لأمه :

— اعتقد أن من واجبى ان ادلى بشهادتى بدورى .. لقد كنت أول شخص شاهد الحادث حتى ابرىء السائق المسكين حيث رأيت بوضوح كيف انه قد فوجىء بالدراجة تتعثر لترتمى أمامه .

حاولت أمه ان تمنعه من النزول .

— مضت فترة .. ولابد ان التحقيق قد قارب الانتهاء ..

لكنه صمم على النزول .

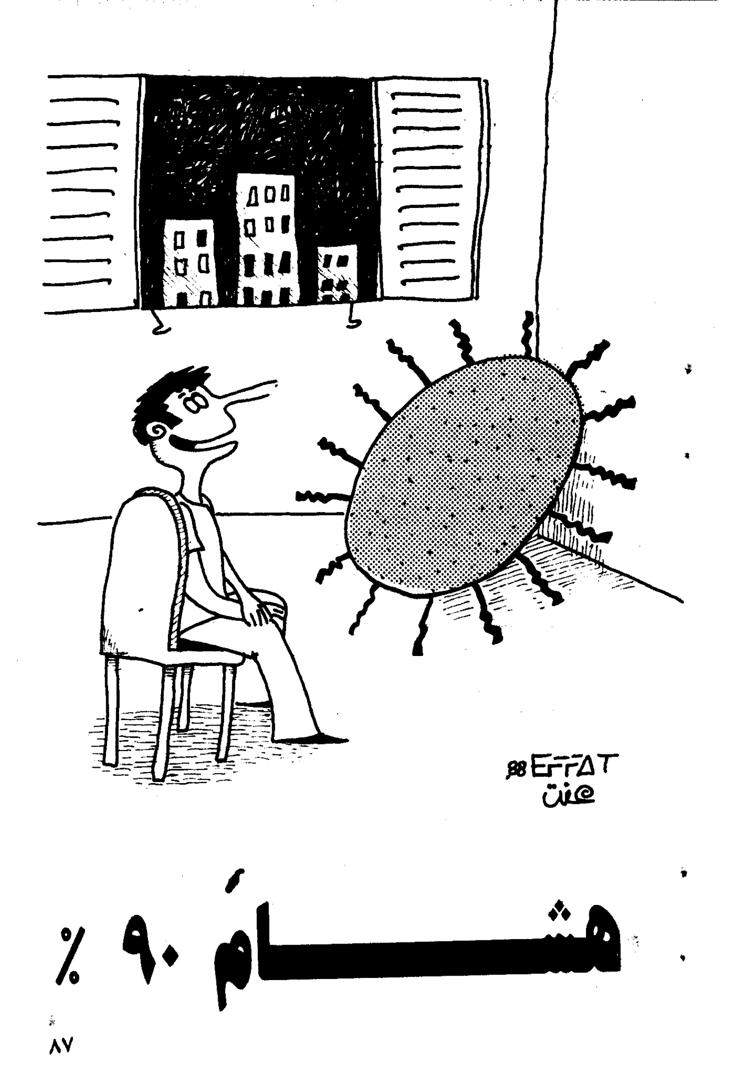
— أيضا كى أعاون هذه الصحفية .. تعرفين ان عندى روح المساعدة .. واضح ان الفتاة مازالت ناشئة .. فإذا عادت لرئيسها بوصف كامل للحادث فلابد أنه سيقدرها ..

لدهشة الأم فتحت فمها دون أن تتكلم .. وظلت على هذا الوضع حتى رأت ابنها واقفا بجوار الصحفية فى الشارع .. تعرف ان عنده روح المعاونة فعلا .. لكنها تعرف أكثر حرصه على الابتعاد عن أماكن الحوادث .. فركت عينيها .. هل ألقى بنفسه من الشرفة ؟ حقا ان شقتهم فى الطابق الأول ولكن .. كيف استطاع فى أقل من دقيقة ان ينزل الدرجات ويخرج من باب العمارة ؟

أخذت تتابعه بقلق وهو يشير بيديه ويتحرك يمينا ويسارا . خشيت أن يعاود تذكر المنظر المفجع .. لكنها أطمأنت وهى تراه يروح ويغدو بنشاط .. ويبدو أن حيوية الصحفية قد انتقلت إليه .. ابتسمت لنفسها .. فى آخر الأمر .. لابد ان تتغلب غريزة الحياة على رهبة الموت .. وسحر الجمال على روع البشاعة ، ازدادت ابتسامتها عندما رأته يتجه مسرعا إلى كشك المرطبات القريب ثم يعود بمنتهى الخفة ومعه زجاجتان مثلجتان ، ضحكت وهى تتمتم فى داخلها :

— والله كلك ذوق يا فريد .. البنت فعلا بعد كل هذا الجهد والعناء .. فى هذا الحر اللافح .. فى اشد الحاجة إلى شراب مثلج قالت ذلك وهى تتذكر نفسها تسرع إليه بالليمون المثلج عقب افاقته .





هشام ٩٠ ٪

استيقظ أكثر من مرة .. فى كل مرة كان يوقد النور ويستطلع الساعة . لم يطلع النهار بعد خطرت له فكرة أفضل فتح شيش النافذة ورقد قبالتها .. بعد أن ثبت عينيه عليها .. وكأنه يجذب بهما ضوء الشمس الذى لايريد أن يبزغ وحده ؟ عجبا .. فى أغلب الأيام ما يكاد يتلكأ فى فراشه قليلا .. يتثاءب ويتمطى بعد سماعه أذان الفجر حتى يفاجأ ـ عندما يستطيع التغلب على النعاس ويقوم ـ بضوء الشمس يملأ الدنيا .. فتضيع عليه صلاة الفجر حاضرا ، فما بالها اليوم تسوق دلالها وكأنها تؤدى دور العروس فى مسلسل تليفزيونى بطىء الرتم ؟ ، هتف :

— اقرضنى بعضا من صبرك يا أيوب ! .

لم يكن قلقا هكذا طوال الأسابيع الماضية .. منذ انهى هشام امتحان الثانوية العامة حتى أول أمس فقط ، كان مطمئنا تماما ان مجموع تسعين فى المائة يكفل لصاحبه دخول كلية الطب من أوسع أبوابها وطبعا هذا المجموع مضمون ، ولو أنه وجه كل ما بذل من جهد ورتب من خطط ورسم من تكتيكات للصعود الى القمر لصعد .. لكنه لا يريد الصعود للقمر .. فقط يريد لهشام ان يلتحق بكلية الطب ، لابد ان يدخل هشام كلية الطب .. لابد .. لابد .

من قبل ان تبدأ الدراسة جاء له بمدرسين فى جميع المواد حتى المواد التى كان هو من الأصل متفوقا فيها ، انضم المدرس لرأى هشام :

— لست اراه بحاجة إلى درس خاص .. فهو يسير معى فى الحصة خطوة بخطوة .. ولا يفوته من شرحى شىء ..

ورد هو : إذن ليأخذ الدرس كى يتفوق أكثر . كى يسبق الفصل .. الدرجة الواحدة وأحيانا نصف الدرجة .. يمكن أن تؤثر بالسلب أو الايجاب على دخول الكلية التى تريدها !

وعلم الله لم يكن ذلك أمرا سهلا فالمدرسون .. مربو النشء .. ركبوا بدورهم موجة الغلاء وزادوا من أجورهم ، انه عام ، وعمد إلى رفع ذات الشعار الغبى الذى رفعه المسئولون يوما « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » ومن ثم تركوا مرافق البلد .. بل كل شىء فيه يشكو الجفاء والاهمال ، ذلك طبعا بعد أن أضاف للشعار الغريب جملة صغيرة « معركة الثانوية العامة .. سامى .. الابن الأصغر فى الإعدادية . ان قدراته أقل من قدرات هشام ، وطوال دراستهما ولكل منهما مستواه .. مع ذلك تواضع وطلب درسا خاصا فى مادة واحدة .. يراها صعبة عليه .. لكن الوالد رفض :

— لا دروس هذا العام إلا لهشام .. وعندما تصل للثانوية العامة .. أطلب ما تشاء !

حتى كسوة الشتاء لراندا الصغيرة . حبيبة امها وأبيها .. تقلصت إلى فستان واحد .. واكتشفت بعد البكاء الطويل انه كان عليها ان تحمد الله كثيرا .. فبند الكساء بأكمله قد الغى بالنسبة للأسرة كلها عداها وتتوالى بقية اللاءات .. لا مصيف هذا العام . لاكحك فى عيد الفطر .. ولا خروف فى عيد الأضحى .

وكل قرار من هذه القرارات كان لابد بعد اتخاذه ان ينادى « هشام » ليحيطه به علما ويأخذ منه التمام عنه :

— هيه .. لن أقبل منك أقل من ٩٠٪

— ان شاء الله يابابا .. أحيانا يكون الرد بحماس وأحيانا أخرى بدون ذلك حسب حالته النفسية ويتغلغل الأب داخل تجاويف دماغه :

— لاترد هكذا بتخاذل .. بل بثقة ! ..

سأفعل كل ما بوسعى يابابا .. والباقى على الله .

ونعم بالله لكنك لابد ستحصل على ذلك المجموع كم كان مجموعك فى شهادة القبول ؟

— سألتنى هذا السؤال مائة مرة ، تسعون وربع .

— وفى الإعدادية ؟

— تعلمه جيدا يأبى .. تسعون ونصف

— حسنا هذا مستواك ، أبطال رفع الأثقال ورفع الجلة والوثب العالى الخ الخ .. قدراتهم تكون معروفة مسبقا من قبل ان يلعبوا .. اسمع اننى لن اناديك من الآن فصاعدا الا بذلك اللقب هشام ٩٠٪ هاها ..

وينفذ فكرته فعلا « افتح الباب ياهشام ٩٠٪ صباح الخير يا هشام ٩٠٪ مساء الخير يا هشام ٩٠٪ ، المائدة أعدت ياهشام ٩٠٪ !! ، وتتوالى الضحكات أحيانا ونظرات الدهشة أحيانا أخرى لكنه لايبالى . بل يزيد فى عملية الشحن ، يدخل يوما ليقول لهشام :

— هل تدرى من أين أنا قادم : من مدرستك .. لقد سألت الناظر عن الاستاذ رياض البحيرى الذى يعطيك درس الرياضة فقال لى أنه أحسن استاذ فى المدرسة فى مادته .. وانه لم يحدث من قبل ان حصل تلميذ أخذ منه درسا خاصا على مجموع يقل عن تسعين فى المائة ..

بعدها بأيام يقول نفس الشىء عن استاذ مادة أخرى .. ثم عن استاذ مادة ثالثة ثم باقى الأساتذة على التوالى ، بل لم يكن يتحرج ان يقتحم عليه الدرس أحيانا ليسأل أحد الأساتذة :

— لا أخفى عليك أخبرت « هشام » أننى لن أقبل أقل من ٩٠٪ هل تراه يستطيع تحقيق ذلك ؟

ولم تخرج ردود الاساتذة جميعا عن أن الطالب متفوق فعلا وان

تحقيق هذا المجموع - إذا ما وفق الله - ليس بعيدا ، رغم كل هذا الجهد الخرافى والمعاناة التى وصلت لدرجة الحرمان من شراء شيء لذاته موفرا النقود للدروس الخاصة .. والحرمان من الخروج للنزهات أو لقاء الأصدقاء كى يتابع بنفسه ما استطاع تحصيله فى تلك الدروس .. رغم كل ذلك لم يعدم من يؤاخذه أو ينتقد تصرفاته .. وان كان اغلبهم يفعل همسا . الوحيد الذى استطاع مواجهته كان حموه الصيدلى الكبير . أكثر من مرة قال له انه بهذا الضغط المكثف يضر بالولد .. ويرد عليه :

— لا أفعل أكثر من تشجيعه وبث الثقة فى نفسه .

— كل شيء اذا زاد عن حده انقلب إلى ضده . بث الثقة عندما يزيد يصبح أقرب إلى غسل المخ .. انك تتبع ما يشبه اساليب النازى .. مما يجعلنى اتساءل هل تلقيت تدريبا عمليا على أيديهم ؟! اترك الولد يتحمل مسئولية تنظيم وقته ودروسه ولتعتدل انت فى متابعتك له .

لكن الاعتدال ، كان مطلبا عزيز المنال .. لم تكن ازمة حسونة وحده لكنها ازمة الكثير من الأسر أمام تراكمات من متطلبات العصر وحتميات الحياة .

عرف الاستاذ حسونة بعد ذلك لماذا كانت نصائح حميه هذه .. بعد انتهاء الامتحانات مباشرة قال له أمام زوجته :

— إذا أكرم الله « هشام » بهذا المجموع فعلا فاقترح أن يختار كلية الصيدلة

ويرد صارخا : الصيدلة .. الصيدلة ؟ هل هذا معقول ؟ ان الصيدلة مهنة معاونة لمهنة الطب .. فهل يحصل طالب على ٩٠٪ .. ويصبح فى امكانه الالتحاق بكلية الطب فيتركها ويطلب الصيدلة ؟؟

واحتد الأب :

— أولا الصيدلة ليست مهنة معاونة للطب بل الاثنتان تكملان

بعضهما البعض ولاتقل أحداهما عن الأخرى . الأهم .. إذا تخرج هشام طبيبا فأمامه أعوام وأعوام حتى يكون نفسه ويفتح عيادة بينما صيدليتي موجودة .. وتعرف انني سجلتها باسم « شفاء » ابنتي الوحيدة .. لكنها بعد وفاتي ستغلق أو تباع .. وهشام بها أولى . أشاح حسونة بيده :

— الله الغني !

— عموما لماذا لاتسأله ؟

— أجل .. نسأله .. ولم لا ؟

وجاء هشام .. وفي وقت واحد نطق الأب والجد :

— هل تفضل الطب أم الصيدلة ؟

— هل تحب أن تكون صيدليا أم طبيبا ؟

وادار الولد نظراته فيهما بتوجس فربتت الأم على كتفه بحنان :

— أية كلية تحب ان تلتحق بها ياحبيبي ؟

أول مرة يسأله أحد ذلك السؤال .. وبمثل هذه اللهجة التي كان حنانها قد سرى داخل نفسه فأزال صدأ الأقفال التي وضعها عليها حتى كادت تنفتح تلقائيا وتخرج رغبته الحقيقية « كلية الفنون الجميلة » حيث ينمي هوايته ويصقل موهبته .. الرسم .. لكن نظرة واحدة لوجه والده المتحفز اقنعته انها أمنية مستحيلة ، فعاد يعلل نفسه بانه يستطيع ان يمتهن الطب ثم يتخذ الرسم هواية .. وكم من أطباء نبغوا في الموسيقى والأدب كالدكاترة يوسف شوقي ويوسف ادريس ومصطفى محمود .. بل والتمثيل ، فقال بصوت آلي :

— كلية الطب ..

قال الجد باحتجاج :

— لم أشرح له وجهة نظري . عموما هذا سابق لأوانه .. فمن يدرينا أنه سيحصل حتى على ٨٠٪ . وكان في العام الماضي الحد الأدني للصيدلة ؟

قال الأب بتحد : بل سيحصل على ٩٠٪ اننى لا اتكلم الآن من فراغ .. هشام كان يخرج من كل امتحان ليجدنى امام باب اللجنة .. حيث آخذه إلى السيارة وأطلب منه أن يعيد الإجابة عن الامتحان .. لم أكن انتظر عودته للمنزل بعد ان يلتقى بزملائه خارج اللجنة ويعرف منهم الاجابة الصحيحة .. فربما يذكرها لى على أنها إجاباته .. كنت أنا أفعل ذلك حتى اذا ظهرت النتيجة ولم أكن من المتفوقين علقت خطئى على شماعة التصحيح فيروح والدى يلعن المصححين قساة القلوب ! أما أنا فلم أترك شيئا للاحتمالات .. كنت أراجع أجاباته على الحلول النموذجية .. ومنها خرجت بأن نتيجة هشام ـ ومع توقع الشدة من المصححين ـ لن تقل عن ٩٠٪ .

صاح الجد : لكن هذا مرهق له .. وخطأ كبير .. فدائما حكمة الامتحانات الذهبية انظر امامك ولاتنظر وراءك .. حتى لايحبط الطالب إذا أدرك أخطاءه فيتأثر فى الأيام التالية .

— الحمد لله أن شيئا لم يحدث . والآن اعتقد ان مستقبل هشام عندك اهم من أغراضك الخاصة فى المحافظة على الصيدلية .

بعد انصراف الجد واجهت شفاء زوجها بعتاب :

— لم يكن يليق بك ان تقول لوالدى أغراضك ..

— نعم أغراضه ..بعد إذلم تستطيعى أنت الحصول على مجموع الصيدلة يريد ان يعوض فى هشام الابن الذى حرم منه .

— وماذا فى ذلك ؟ .. انه غرض نبيل .. أو على الأقل مشروع .. أما أنت الذى بعثرت كل ما نملك على الدروس الخصوصية بسفه ..

قاطعها : بل كان هذا ادخارا ثم استثمارا .. لم أكن أبعثر النقود وانما كنت اضعها فى حصالة تفتحينها آخر العام لتجدى الكنز العظيم والجوهرة المشعة المتلألئة .. مجموع التسعين فى المائة !

— وبعدها يجىء دور الاستثمار فيدخل كلية الطب ؟

— نعم لابد ان يدخل هشام كلية الطب .. لابد .. لابد ؟

— أعلم ذلك واعلم أكثر أغراضك من وراء ذلك وهى على عكس أغراض والدى .. أغراض مشبوهة .

سقط فكه مذهولا واستطردت هى :

— مازلت تحبها ؟

— عمن تتكلمين ؟

— ابنة عمك التى كانت شبه مخطوبة لك وانتما صغيران .. ثم تقدم لها الطبيب اللامع بعد وفاة عمك ففضلته أمها عليك .. سمعت من عجائز اسرتك ثرثرة كثيرة حول ذلك الأمر والآن .. أتنكر انك تود ان ترى نفسك فى ابنك ؟ ان تجعله يعيش لا الحياة التى يريدها هو بل التى اردتها انت وفشلت فى تحقيقها ؟

— غير صحيح .. هذا الموضوع ليس على بالى بالمرة .. المئات والآلاف يتمنون لاولادهم هذه الكلية وإليك هذه الجريدة التى كتبت فى موضوع عن التنسيق ان كليتى القمة فى القسم العلمى الطب والهندسة .. وفى القسم الادبى الاقتصاد والاعلام .

— كلام الجرائد هذا هو الذى يزيد الأمر سوءا .. النبوغ والطموح ليسا وقفا على كلية بعينها ففى الوقت الذى نجد فيه اطباء مغمورين نرى بعضا من خريجى الحقوق أو التجارة وزراء ورؤساء مجالس إدارة شركات .. هذا عندما يتوافر للخريج الطموح والعزيمة والمثابرة .

ولما كان من خريجى الحقوق لكنه لم يلمع فقد وجد ان الحوار سيتطرق إلى مناطق حساسة تزداد سخونة كلما مضيا فيه فأراد أن يغير اتجاهه الى المزاح .. تأوه وهو يمسك بظهره :

— ترى ماذا كنت تفعلين بى أكثر لو لم يكن اسمك شفاء ؟ ألا ترين جسمى وقد وصلت إلى هذه السن قد امتلأ بالأمراض وأريد طبيبا من صلبى يعالجنى ؟

أول أمس فقط .. وعقب قراءته لخبر صغير نشر بالجريدة

الصباحية بدأ يحس كما لو ان اطمئنانه الكبير هذا قد راح يتسرب من بين يديه .. الخبر يقول ان نقيب الأطباء وقد رأى الزيادة الكبيرة لاعداد خريجى كليات الطب حتى كادت تحدث بينهم بطالة ، بذل مساعيه حتى حصل علي موافقة عمداء هذه الكليات على تخفيض أعداد المقبولين بها بنسبة الربع .. واردفت الجريدة ان هذا سيؤدى ـ حتما ـ إلى ارتفاع الحد الأدنى لهذه الكليات ، وأحس بقلبه يهبط إلى قدميه اللتين بدأت الأرض تهتز من تحتهما .. أيصبح اذن أكثر من ٩٠٪ أيضيع كل ذلك الجهد .. بل كل شيء هكذا بجرة قلم ؟ كيف يقول النقيب ذلك ؟ .. هل زار الكفور والنجوع ورأى مرضاها قد شفوا جميعا ولم تعد ـ ومعنا جميع البلاد العربية التى تحتاج معونة خريجينا ـ فى حاجة إلى أطباء ؟ أم أنها رغبة النقيب فى الاحتفاظ للأطباء الحاليين بأجورهم الباهظة ؟ عاد يراجع نفسه .. هى سياسة فى صالح الأطباء يفهمها نقيبهم أكثر منى قطعا .. ولكن ألم يقتنع العمداء بهذا الرأى الذى ينادى به النقيب من سنوات ـ كما تقول الجريدة ـ إلا هذا العام ؟ عندما وصل هشام الى اعتاب الكلية المرموقة ؟ .. اترده إذن خائبا على أعقابه وتغلق من دونه أبوابها ؟

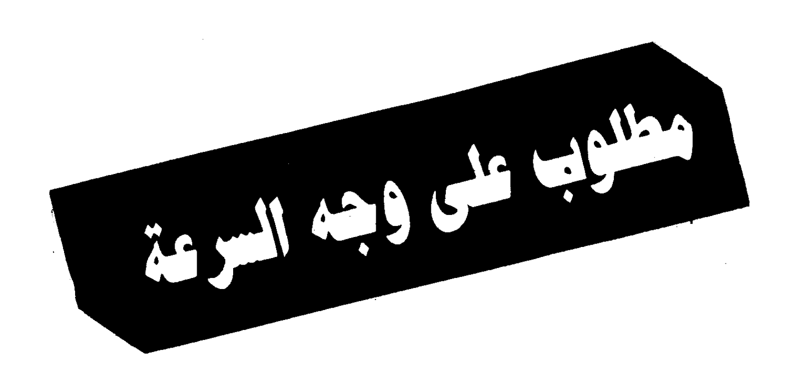
ويعود الأمل يخايله فيبتلع ريقه عندما يتذكر أنه عندما كان يراجع اجابات هشام كان يفترض الشدة فى المصححين ، ألا يكون متشائما والمصححون أكثر تساهلا ؟ لو كان ذلك لوصل مجموعه إلى ٩٢٪ يجب أن يكونوا كذلك .. هم أباء قبل ان يكونوا مدرسين .. ألا ليتهم يغلبون جانب الرأفة والرحمة على الدقة والتشدد !

أخيرا أفلحت الشمس فى الافلات من ذلك الحصار الذى ضربته حولها شبورة الصباح .. نظر فى ساعته فوجدها تقترب من السابعة .. بدأ يتململ .. لقد أكد له شقيقه المدير بالتربية والتعليم انه يستطيع أن يحضر له النتيجة من مديريته قبل تعليقها فى

المدارس بساعات ، رن جرس الباب فأسرع يقفز من فراشه وقد انقبض قلبه .. لم تكن دقة الجرس تشبه الزغرودة الطويلة المجلجلة كما توقعها . وانما كانت دقة صغيرة خافتة كان يدا قاسية تبترها قبل ان تبدأ ، قال العم وصوته مندى بقطرات الأسى المرة المذاق :

— لا أدرى كيف حدث هذا فافتراض الشدة فى التصحيح لا ينطبق لأن العديدين قد حصلوا على مجاميع عالية ، أيضا فكرة الخطأ فى الجمع غير واردة على الاطلاق .. حيث يراجع الورقة الواحدة خمسة مراجعين والتفسير الوحيد ان « هشام » عندما كان يجيب على الامتحان فى سيارة والده - وقد راجعت هذه الاجابات بنفسى - كان فى حالة هدوء عصبى تختلف عن حالته داخل اللجنة .. التى اعتقد انها عكست عليه رهبة وقلقا وتوترا شديدا ، ربما وصل درجة التوجس والهلع ، لكن حتى هذا لا يبرر الفارق الكبير بين ماتوقعناه وبين السبعة والخمسين فى المائة التى حصل عليها .. آه يا إلهى .. حمدا لله ان توقعت مسبقا ما حدث الآن لشقيقى المسكين حسونة فاحضرت معى زجاجة النوشادر ! .

□ □ □



- ١ -

استيقظ كبير العسس ليجد خيوط الشمس الذهبية قد بدأت تلون غرفته .. دهش لتأخره ، أسرع يرتدى ملابسه . على السلم قابل جاره .. عجب لمنظره .. وجهه ملىء بالشعر الكثيف كحيوانات الغابة .. وقد تدلى على جانبى فمه نابان طويلان !! ، كان أول ما خطر له أن يأمر بالقبض عليه وحبسه خشية أن يؤذى أحدا .. كما يوحى منظره ، لكنه تردد .. غير معقول أن يقبض على جار صديق .. تقدم منه .. سأله بوجل :

— هل أحضر لك طبيبا ؟ ..

بدت على وجه الجار الدهشة .. رد باستنكار :

— طبيب ؟ .. لى أنا ! ؟ .. لماذا ؟ .. من قال إنى محتاج إلى طبيب ؟ خجل كبير العسس أن يواجهه بالأمر .. يكفيه ما هو فيه من هم بسببه .. ، فلا داعى لأن يزيد مرارته .. وليتظاهر بأنه لم ير شيئا شاذا ، همهم بكلمات غير مفهومة ومضى لحال سبيله ! ..

على باب الدار قابل البواب .. كادت عيناه تخرجان من محجريهما كان يغطى وجه البواب نفس الشعر الكثيف .. وأيضا تدلى من جانبى فمه النابان الطويلان الملتويان ! ، تقدم منه .. هم بسؤاله .. عاد وعدل ، البواب فى سن والده .. من غير المعقول أن يجرحه ..

ذهب إلى عمله .. وجد مساعده الشاب قد سبقه .. كان يحدث فتاته تليفونيا وهو يضحك عاليا ، ما كاد يلتفت إليه حتى كاد يصرخ .. أين ذهب الوجه النضر الجميل .. ليحل محله وجه الغوريللا الذى غطى وجهى الجار والبواب من قبل ؟ . وأيضا تحرج أن يصدم الشاب المقبل على الزواج .. وينبهه إلى هذه الكارثة التى ألمت به ..

بدأ باقى الزملاء يتوافدون .. وأيضا أصحاب الشكاوى . جميعهم بدوا على نفس المنظر البشع ! ، لم يعد يدهش .. كثيرا ! ..

- ٢ -

المعلم يدخل المدرسة .. يفاجأ بتحول وجوه زملائه والناظر وجميع الطلبة إلى وجوه غوريللات ، تبجيله للناظر يمنعه أن يبدى له دهشته ، إعزازه للزملاء يثنيه عن سؤالهم .. يكفيهم حزنهم على أنفسهم .. كان ينصح تلاميذه بالتغاضى عند رؤية عيب خلقى أو عاهة لدى شخص ما .. وألا ينظروا إليه طويلا أو يحدثوه عنها .

فهل يعلم الناس الذوق والكياسة ويخرج هو عليها ؟ .. كلا .. كلا ... ينبغى تجاهل الأمر تماما .. جلس مع زملائه وقد أحاط نفسه بهالة جليلة من الصمت البليغ الذى يغطى على كل الأصوات ، وقد اتخذ من ابتسامته ستارة تخفى ما بداخله !! ..

- ٣ -

الأستاذ العالم البحاثة يذهب إلى معمله .. جميع من يلتقى بهم امتلأت وجوههم بالشعر وطالت منهم الأنياب ، مع ذلك سكوته حتمى .. كالموت ! ، المجاملة تفرض عليه أن يمر على الموضوع مر الكرام .. ظاهريا فقط .. فى مواجهتهم ، لكن الأمر يحتاج إلى بحث كى يضع يده على سر هذه الظاهرة .. ربما استطاع معالجتها .

أول ما فكر فيه أن يكون للمواد الموجودة بالمعامل هذا التأثير الخطير ، بدأ يتناول جميع الأنابيب ويحلل ما بها .. واحدة واحدة .. لكنه لم يستطع الوصول إلى شىء ، أنهكه التعب .. قرر أن يستريح باقى اليوم ثم يعاود البحث فى اليوم التالى ..

وهو فى الطريق رأى جميع السابلة على نفس الحال ! .. بدأ يراجع حساباته .. ليبرىء المواد الكيمائية بالمعمل .. لا .. الأمر أبعد من ذلك وأشمل ، ترى ما هو الشىء الذى يمكن أن يكون قد تعرض له العلماء والعامة على حد سواء ؟ ، لا يوجد سوى ماء النهر .. أيكون قد تلوث وحده لتفاعلات ما .. أم بفعل فاعل ؟ .. مثلا أعداء للبلد ألقوا به بعض المواد الغريبة ، على أى حال هذا السؤال سابق لأوانه .. الخطوة الأولى أن يتأكد من هذا التلوث وبعدها يبحث عن أسبابه ..

الأيام والأسابيع تمضى وهو عاكف فى معمله ، فى كل صباح

يضع نقطة من ماء النهر تحت اختبار معين .. لكن التجربة تنتهي - بانتهاء اليوم - دون نتيجة بيد انه لا ييأس ويوالي التجارب ! ..

- ٤ -

الوزير مهموم لحال البلد .. يكربه ما جرى ، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا .. أخيرا فكر في الحكيم الأكبر .. ربما استطاع بحكمته أن يجد للأمر مخرجا ، الحكيم الأكبر لا يخيب ظنه .. قال بهدوء :

— أجل يا سيدي .. هذا الداء له علاج .. هناك نبع يجري بين الصخور التي فوق قمة الجبل .. ماؤه يشفي جميع هذه العوارض والأدران ، لكن هناك مشكلة .. لن يستطيع احد أن يجلب شيئا من ماء هذا النبع .. بل لابد أن يصعد كل شخص بنفسه إلى مكانه ليتلقى بفمه بعضا من نقاطه ، ولكن .. من سيقنع أي فرد بأن يتجشم تسلق الجبل ؟ ..

قال الوزير بدهشة شديدة :

— أعتقد أن أي شخص أصابته هذه الحالة يتمنى لو استطاع أن ينزع رأسه ويلقي به بعيدا ، فإذا عرف أن لهذا الداء اللعين علاجا .. فمن المؤكد أنه على استعداد لركوب أية مشاق في سبيل الشفاء منه ..

— ومن أين يعرف أي شخص انه قد أصيب بذلك الداء ؟ ..

الوزير يكاد يذهل .. يهتف ..

— ماذا تعني .. بالله عليك ؟ ..

— أعني أن كل شخص يرى هذه السحنة على وجوه الجميع .. ويستنكرها في قرارته .. دون أن يخطر بباله أن وجهه هو الآخر على نفس الصورة ! ، يتساءلون جميعا .. وماذا جرى للبلد ؟ .. وماذا أصاب أهله ؟ .. أصبحوا غير ماكانوا .. تحولت صورتهم الجميلة

إلى صورة أخرى بشعة : ولو تمعنوا قليلا لأدركوا أن البلد ما هو إلا هذا وذاك .. وهو وهى وهم .. ولفكر كل منهم أن يبدأ بنفسه ..

كلمات الحكيم لطمت الوزير على أم رأسه .. ثم راحت تنساب داخله كثعبان أملس .. قال بصوت مشبع بقطرات الذعر اللاذعة :

— وأنا ؟ .. هل أنا أيضا أصبحت على شاكلتهم ؟ قام الحكيم من مكانه وعاد ويده مطبقة .. قال بهدوء :

— هناك شىء لا تعرفونه ..

فتح يده وكشف عما بها :

— هذه .. اسمها مرآة .. بلدنا فى حاجة إلى عديد منها :. أنظر . قرب المرآة من عينى الوزير .. فما كاد يرى وجهه فيها حتى تراجع مجفلا .. لم يستطع النطق .. كأن الكلمات قد تحجرت داخل حلقه .. بعد لأى استطاع أن يحرك لسانه .. سأل بلهفة وقد راحت عيناه الزائغتان تدوران فى كل اتجاه :

— قل لى من فضلك .. أين النبع الذى قلت لى عنه .. أرجوك أن تتكلم : لابد أن أذهب إليه فورا .. !

ضحك الحكيم :

— ألا تتمهل حتى تسمع ردى على السؤال الذى استدعيتنى من أجله ؟ ، لقد سألتنى إذا كان هناك حل أو علاج لما وصل إليه حالنا .. نعم يا سيدى هناك حل .. حل واحد وحيد .. أكتب هذا الإعلان كى ينشر فى جميع الصحائف « مطلوب على وجه السرعة .. مرايا .. الآلاف .. بل الملايين من المرايا .. كى توزع على الناس . جميع الناس فى هذا البلد » ! .

● ● ●

دين لم نستدنه

قمت من نومى فزعا ، ياله من حلم ! . أقف على شفا حفرة .. وتكاد قدمى تنزلق إليها ، دوت قهقهة عالية ، عجزت عن رصد مصدرها .. ربما كان الشيطان .. أو كنت أنا .. أو أى شىء آخر . هل كان حلما أم استشفافا ؟ ، أم أنها رغبة تستعر فى أعماقى .. وكأن أعماقى هى الجحيم بعينه ! إننى فعلا على شفا حفرة ، فى الحلم كنت أجاهد كى لا أسقط .. فى الحقيقة أنا بنفسى الذى أرغب فى السقوط .. أرغب ولا أرغب .. قوتان تتنازعاننى حتى أكاد بينهما أنشطر إلى نصفين ، أو ربما انشطرت فعلا من زمن بعيد ، المشكلة أيهما أنا وأيهما الذى يفكر الآن ؟ .

لماذا يكره الناس الناس إلى هذا الحد ؟ يقول شخص عن شخص آخر كلاما حسنا .. بيد أن هذا القول لا يجد من ينقله .. حتى ولا حمار أعرج يتعثر فى سيره لكنه بعد زمن طويل يمكن أن يصل ، ويقول شخص آخر كلاما سيئا .. للحال يجد مليون فرس أشهب تتطوع لنقل القول فى سرعة البرق ! ، ويتلقفه الناس فى بهجة ويرددونه فى سعادة ونشوة .. ما الذى يسعدهم وليس بينهم وبين المتقول عليه أى عداء ؟ ، على العكس .. كان والدى طبيبا مسالما يحب الجميع ، والجميع - اعتقدت ذلك - كانوا يحبونه ، لكن كل هذا الحب لم يمنعهم أن يصدقوا أنه اختلس حقا هذا المبلغ الذى اتهم باختلاسه ! ..

حققوا معه .. فتشوا منزله .. أكثر من مرة ، لم يجدوا شيئا .

ولم يجدوا دليلا قاطعا على أنه الفاعل .. مجرد قرائن ، مع ذلك طلبوا منه أن يستقيل ، القرائن كثيرة ، لا يصح أن يبقى مادامت تحوم حوله الشكوك ، تميعت القضية .. فلا هو وجد دليلا على براءته .. ولا هم استطاعوا تقديم دليل إدانة ضده ، لذلك لم يصدروا عليه حكما بشىء ، رئيسه قال ذلك .. كذاب .. بل صدر ضده حكم .. إنه رجل تحيط به الشبهات ! .

كأى خبر يتسكع بين الأفواه والآذان .. لابد أن يحذف منه ويضاف إليه ، بل حتى ما يتبقى بعد الحذف والإضافة غالباً ما يحور ويحرف ، عندما وصل النبأ لجيراننا الكرام كان شيئا أخر .. « فصل شاكر افندى من عمله لأنه اختلس ! » ، ولأنهم - الجيران - جميعا .. جميعا جميعا .. طاهرون شرفاء أنقياء .. عليهم أن يتجنبوه .. خشية أن يلوثهم لو صافحوه ! ، مجرد وجوده أمامهم يشكل قذى فى عيونهم . النساء أيضا قاطعن زوجته ، وحتى الأولاد .. قاطعوا أولاده !! ، لم يعد أحد منهم يلعب معى أو مع شقيقتى كريمة ، مرة حاول صديقى الأثير عزت أن يتفرج على لعبة كنت أحملها - عندما تقابلنا على السلم - فإذا بيد تمتد من فتحة صغيرة لبابهم الموارب .. كى تجذبه داخلا ثم تغلق الباب بسرعة ! .

ما كان أظلمه من جزاء تلقيته ! . عندما دققت جرس شقتهم لأطمئن عليه ، أغلقوا الباب فى وجهى بعنف .. دون كلمة واحدة ! ، ذهبت إل أمى باكيا .. لكنها بدلا من أن تكفكف دموعى كما اعتادت دائما .. شاركتنى إياها ، لأكتشف بعدها أنها أيضا أصبحت مثلى .. منبوذة .. لا أحد يأخذ منها أو يعطيها ..

ترى فيم كان يتكلم الجيران قبل أن يحدث هذا لوالدى ؟ ، بدأت أيامها أشك أنهم كانوا يفتحون أفواههم .. حتى للتثاؤب ! ، لم تعد هناك من سيرة - لأى اثنين منهم يلتقيان - إلا هذه القضية ، جعلوا

من أبى المسكين « لبانة » راحوا يلوكونها بين أشداقهم غير آبهين لآلامه ، على العكس .. كان استمتاعهم يزداد كلما سمعوا عظامه تطرقع تحت أضراسهم ! ؛ من وقتها وكأننا عقدنا معاهدة تحالف مع الحزن ، كانت تجربة قاسية أصابت أعماق والدى وتركت بصماتها داخله وحتى خارجه .. وجهه أصبح متغضنا كورقة مهملة كورتها يد عصبية ! .

لا .. لم يمت والدى بنزلة شعبية كما قال الأطباء .. مات مقتولا ! ، اشترك الجميع فى قتله .. رئيسه وزملاؤه .. ثم البوليس والنيابة - الذين لم يستطيعوا ضبط الفاعل الحقيقى - ، وأيضا الجيران والأصدقاء والأقرباء .. سقط المسكين فتكاثرت عليه السكاكين ! .

فى نفس الجزيرة المعزولة كبرنا أنا وأختى حتى التحقنا بالجامعة .. وبدأنا نختلط بالزملاء قليلا ، ومن بينهم تقدم لأختى عريس .. حضر إلى منزلنا مع أسرته ، تم الاتفاق تقريبا على كل شىء ، عقب عدة زيارات ذهب ولم يعد ! ، انسحب بعد تقديم أعذار واهية ، فى العام التالى تقدم عريس آخر .. ليبتلعه بدوره بحر الظلمات .. بعد زيارته لنا عدة مرات ! ، وبالطبع لم يكن الأمر بحاجة إلى ذكاء كثير حتى نعرف السبب .

لم نعد نستطيع تحمل حلقات النار التى كانت تضيق حولنا أكثر وأكثر كل يوم ، بعد أن فقدنا الأمل فى أن تخضر يوما صحارى النفوس ، لذلك لم يكن هناك حل سواه .. رغم صعوبة العثور على شقة فى هذا الزمان ، لكن أصحاب منزلنا كانوا كرماء جدا .. دفعوا لنا أكثر مما طلبنا بمثابة « خلو رجل » .. لندفعها بدورنا للشقة الجديدة .. فى حى بعيد .. وإن ظهر بعدها أنه لم يكن بعيدا بما فيه الكفاية .. لنسقط مرة أخرى فى قاع الحقيقة ، خلال شهور قلائل كان

جميع جيراننا الجدد قد علموا بالحكاية .. شاملة كل الإضافات ! ..

بداية لم يهمنا الموضوع كثيرا .. لأننا من أول الأمر لم تكن لدينا نية الاختلاط بأى جيران ، ولكن . تجددت لعبة العرسان لكريمة فى المنزل الجديد مرتين ، بعدها تقدم العريس الخامس .. وتعددت زياراته ، ونحن نسأل « ترى متى يصيبه الوباء الفتاك ؟ لكن الشهور تمر وهو لا يتغير .. واسعد ذلك أمى ، لكن كريمة كان لها رأى آخر .. وافقتها عليه ..

حقا ما يدرينا أن الخطر قد زال تماما .. اليس محتملا أن يعود فيقع بعد أن نكون قد قطعنا شوطا فى إعداد الجهاز ؟ ، وقوع البلاء خير من انتظاره .

رد العريس على أختى بابتسامة متسامحة :

— أووه .. لقد سمعت هذا الموضوع لكنى لم أصدقه .. كادت أمى تبكى من التأثر :

— الحمد لله أنك لم تصدق هذه الافتراءات ..

— يقولون فى الأمثال سيماهم على وجوههم ، فهل يعقل أن تكونوا أنتم أهلا لذلك ؟ !

غلب التأثر أمى فبكت وهى تربت على يده :

— بارك الله فيك ! .

اطمأننا فبدأنا نعد لشراء جهاز العرس .. عندما فاجأنا العريس بطلب غريب ، إنه يريد اثاثا لخمس غرف مجهزة بكل أدوات الحياة العصرية ..

واعترضت أمى قائلة إن ذلك من واجبه هو .

فعاد يبتسم .. بنفس السماحة . وهو ينظر نحوى :

— عندما يكون هناك تفاهم فلا يهم ماذا على العريس أو ما على العروس ! .

بدأت تساورنى الظنون .. مع ذلك حاولت أن اتخذ من ابتسامتى

ستارا يخفى ما بداخلى .. همهمت :

— هذا صحيح ولكن .. من أين نأتى بكل هذا ؟ ، إننا كما ترى أسرة متوسطة ..

— كل ما طلبته لن يزيد على خمسين ألفا ، وهى ليست كثيرة على كريمة بالنسبة لـ .. لـ ..

قالت أمى ببراءة :

— أقسم لك يا ابنى أننا لا نملك أكثر من ..

قاطعتها كريمة التى كانت تنظر إلى خطيبها بنظرات غريبة :

— لماذا لم تتركيه يكمل يا أمى ؟ .. بالنسبة لماذا يا فتحى ؟

عادت عيناها تحاولان اصطياد عينيه .. وأفلحت أخيرا رغم محاولاته الإفلات .. من ثم راح يتأتىء ويفأفىء .

— أقصد .. يعنى .. أريد أن أقول ..

— انطقها يافتحى ولا تتردد .. بالنسبة للمبلغ الذى اختلسه والدى .. أليس كذلك ؟

— لا .. لا .. أبدا .. لم أقصد ذلك لكن .. لكن .. صرخت كريمة :

— أخرج من هنا فورا ولا تدعنى أراك ثانية .. أبدا .

— اسمعينى فقط .. لماذا احتفظ والدك بالنقود ؟ ، أليس من أجل مجابهة الظروف الهامة لك أنت وشقيقك ؟ ، وهذا طبعا أهم ظرف ! .

بكت كريمة وهى تخلع الدبلة من إصبعها وتلقيها فى وجهه :

— كان والدى أشرف الناس .. ياحقير ! ..

رغم أن فتحى كان كذلك فعلا .. إلا أنه - وياللعجب - غضب بشدة ! ، وأظهره الغضب على حقيقته .. راحت شفتاه تبعثران الكلمات :

— لا تصرخى هكذا وكأن الوالد كان شريفا فعلا .. الكل يعرف أنه اختلس المبلغ ، فهل تظنيننى أبله ؟ ، إلا إذا كان شقيقك رؤوف

قد لعب لعبته فأخفى عنك النقود ليستحوذ عليها وحده ، وفى هذه الحالة يجب أن تشكرينى عندما أنبهك .. كى تفيقى من غفلتك وتنتزعى منه نصيبك !!

بعد أن أفاقت كريمة من نوبتها الهستيرية أراحت رأسها على كتفى .. فى حين كانت والدتى لا تزال تردد وهى تخبط كفا بكف :

— كان الأربعة الذين انسحبوا أكرم منه ، ياإلهى ! . طيلة الوقت كان يعتقد أن المرحوم قد اختلس .. ورغم ذلك تمسك بك .

ردت كريمة ورائحة حريق الكلمات تفوح من شفتيها :

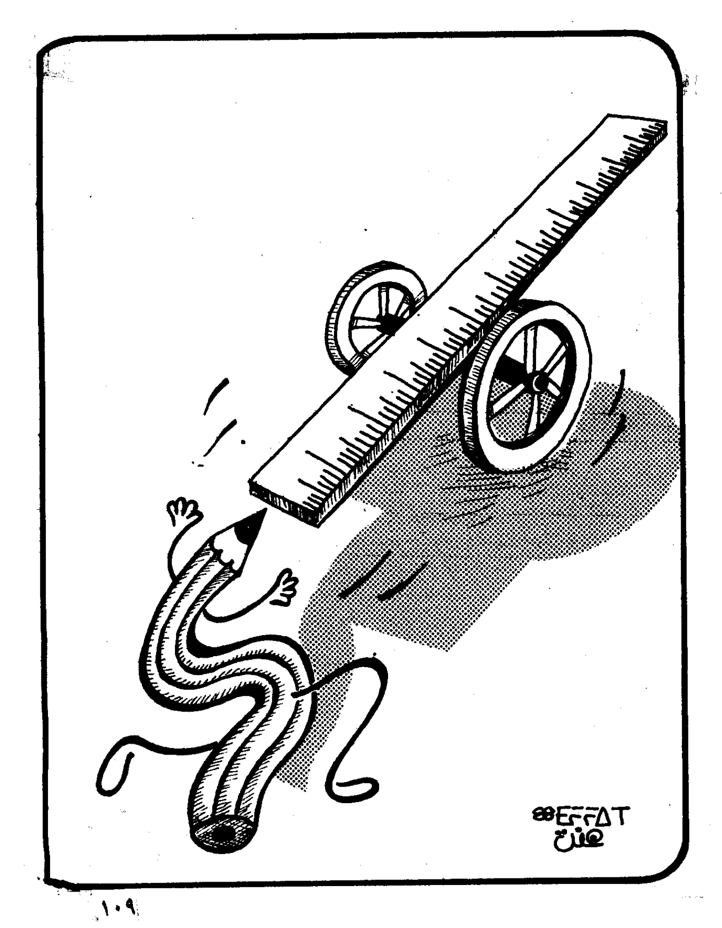
— ما أطيبك ياأمى .. إنه « بسبب ذلك » تمسك بى !!

أعمل الآن بعد تخرجى فى عمل يجعل مئات الآلاف من الجنيهات تحت يدى ، فى كل مرة أمسك مبلغا كبيرا من النقود أتذكر ما حدث لأبى .. إنه محفور وشما على جبين الذاكرة ، وأيضا ما حدث لنا جميعا من بعده .. أنا وأمى .. وأختى على وجه الخصوص ، الأسى أخذ البريق من عينيها وتركهما قطعتين من زجاج ! ، لقد دفعنا الثمن غاليا .. ثمن خطأ لم نرتكبه ، أى بالضبط كأنه ثمن شىء لم نحصل عليه ، أليس من حق شخص دفع الثمن مقدما أن ينال ما دفع ثمنه ولو مؤخرا ؟ ، ألم نسدد دينا لم نستدنه ؟ ، إصلاح الوضع يكون بأن أصنع فعلا ما اتهمونا به .. حتى لا أظل طيلة حياتى أشعر بمرارة الاتهام الظالم .. ويالها من مرارة ! .

لكننى فى أحيان أخرى أعود إلى نفسى وأطرد عنها ذلك الهاجس الفظيع ، أحس أننى على شفا حفرة عميقة .. ترى إلى ما سينتهى بى الأمر ؟ ، هل أخطو بنفسى منزلقا داخل الهوة ؟ ، أم سأبتعد عنها قدر ما أستطيع وأسير فى طريقى السوى ، أم أظل طويلا فوق شفا هذه الحفرة ممزقا بين الإقدام والإحجام .. بين السقوط والنجاة ؟ .

• • •

بالقلم والمسطرة



فتحت عينى وتلفت حولى فرأيته .. لم يكن الأمر غريبا .. منذ شهور وانا أراه كلما فتحت عينى ، وأراه كلما أغمضتهما .. لم أصرخ كما كنت أفعل فى بداية رؤيتى له ، ولم أحدجه بكراهية واستنكار .. ولم أغلق عينى بيدى ، ظللت أنظر اليه باستسلام بليد .. يبدو أن نظرتى راقته فظل مكانه .. فى المرات السابقة كان يختفى بعد نظرة واحدة ، أغمضت عينى وفتحتهما .. فركتهما بيدى .. هززت رأسى بشدة لكنه رغم كل ذلك ظل ثابتا .. لا .. ليس ككل مرة .. هذه المرة موجودة حقيقة .. يخيل الى ـ بل أنا متأكدة ـ اننى لو مددت يدى للمست حديده البارد .

وأحسست كأن صاروخا من النار يخرج من رأسى مخترقا عينى وفمى وأنفى وأذنى فى حين انغمد فى قلبى نصل حاد بارد .. اذن جاءت النهاية ، وتحققت مخاوف الطبيب ، ولكن .. هل جاءت هكذا سريعا .. مع كل تشاؤمى وحساباتى كنت أتوقع أن يحدث ذلك بعد عام أو عام وكسور .. ثم .. لماذ احضروه ؟ .. هل أحس الطبيب أننى أحاول الهرب من سماع نتيجة فحوصه فأراد أن يحاصرنى ؟ .. تماما كما فعل عزيز شقيق زوجى ، يومها اغلقت باب السيارة بعنف وكأننى بذلك أعلن عن تصميمى على عدم الحضور غدا .. أجل لن أحضر .. ولن أسمع ما سوف يقولون .. لا أريد أن أعرف شيئا ، واذا بعزيز يقبل على قبل أن تقوم السيارة :

— اسمعى .. سأمر عليك غدا فى الخامسة لأصحبك .. فانتظرينى ..

لماذا .. ؟ .. منذ دخل زوجي المستشفى .. أى منذ حوالى ثلاثة شهور وأنا أحضر اليه كل يوم تقريبا في سيارتى الصغيرة ، ولم يحدث أن اصطحبنى عزيز فى سيارته أبدا .. وحتى لو كان قد أحس بخطتى المبيتة فلماذا يحاول افسادها ؟ .. لماذا يجبرنى على السماع ؟ .. ما شأنه هو ؟ !

الغريب أن أهرب من معرفة نتائج الفحوص وأنا التى حاولت بكل ما أملك ـ أو يملك أى انسان ـ من جهد ومثابرة كى أعرفها ، فى بادىء الأمر لم أكن أحاول أن أعرف أو أتجاهل .. لم يكن الأمر يبدو ملحا .. بل اننى حتى لا أذكر على التحديد كيف بدأ مرضه .. حاولت أن أتذكر فلم أفلح ، ويبدو أنه حتى لم يقل لى فى البداية .. ذهب وحده الى المستشفى وأعطوه بعض الأدوية ، لكن الحالة اشتدت .. لم يعد يشعر بضعف ساقه بين الحين والحين ، لكن ذلك أصبح دائما ، وعند ذلك فقط بدأت أدخل فى الصورة ، ولم يعد الأطباء يكتفون بالفحص الظاهرى ، لكنهم عمدوا للأجهزة والأشعات ، وكل طبيب له رأى ، وجرب اقتراحاتهم جميعا .. شَدَّة للعنق ثم للساق .. ثم رقبة من البلاستيك ، لكن ذلك لم يُجْد ، واتجهت أنظاره وأنظارى معه الى الخارج ، وتحقق الأمل البعيد وسافر ، وهناك كان الرأى القاطع ، « دى . إس » أو الضمور المتناثر فى خلايا الجهاز العصبى ، غير قابل للشفاء ، لكن بالامكان وقفه حتى لا يتطور الى أسوأ .. مع الأمل فى بعض التحسن إذا داوم على العلاج الطبيعى ولم يكن ذلك سهلا ، لكننا تقبلناه .. ومضت الأمور على ما يرام مدة طويلة ، حوالى ثلاث سنوات فلماذا ساء بعد ذلك .. هذا هو السؤال الذى حير الأطباء بعد أن حيرنى أنا .. الغريب أنه ظل منذ عودته من الخارج وحتى بضعة شهور قليلة فى حالة واحدة .. ثم بدأ ينزل بسرعة .. الأغرب أننى لم ألحظ ذلك فى أول الأمر ، فقد كنت معه على الدوام ، وكلما شكا من ازدياد ثقل ساقه .. بل ساقيه الإثنتين

معا ، أرجعت ذلك لسوء حالته النفسية ، وهذا ما لاحظته يقينا من بدء مرضه .. كلما أثاره شيء ساءت حالته وكان من الطبيعي أن تحزنه وفاة والدته التي كان يعبدها .. طمأنني ذلك . بعد فترة سنخرج جميعا من حالة الحزن الى اهتمام بحياتنا .

لكن الناس بدأوا يثيرون في نفسي القلق .. خاصة الذين يقابلوننا على فترات متباعدة .. أصبحت الكلمة الأولى حين يرونني ، بعد السلام ـ وأحيانا قبله ـ : ما باله عزت .. هزل جدا ومشيته في غاية السوء ، في البداية لم يعلق في ذهني شيء بل انني أرجعت حديث بعضهن للغيرة والكراهية ، لكن الحديث تكرر ، ووقعت في حيرة .. هل أخفي عنه أم أصارحه .. وأي الخطوتين يا ترى في صالحه ؟ حتى حزمت أمري ذات يوم رأيت فيه ساقيه تتعثران في لا شيء ويكاد يقع :

— هناك شيء أود أن أحدثك فيه .

— وأنا أيضا لدي ما أود أن أحدثك فيه .. واكتشفت أنه الآخر كان يحاول أن يخفي عني ما يحسه من تدهور حالته حتى لا أنزعج ، كان عائدا لتوه من المستشفى كعادته كل بضعة شهور ليتابع طبيبه الحالة ، في ذلك اليوم بادره الطبيب ورنة الدهشة واضحة في صوته « صحتك لا تعجبني » .. خاسس جدا ومشيتك سيئة .. يجب أن تدخل المستشفى غدا لتجري بعض الفحوص »..

ومنذ اليوم التالي لدخوله وأنا أجري خلف الأطباء ، كل طبيب أراه يخرج من عنده ، بل حتى الممرضات والحكيمات .. استخدمت كل ما أملك من لباقة وقوة اقناع وبراعة في الحديث لاستدراج أي منهم في التصريح لي بكل حالةعزت .. بل انني استخدمت بعض طرق « شرلوك هولمز » ، لكن الجميع ظلوا على صمتهم التام « لا نستطيع القطع بشيء قبل أن تنتهي كافة الفحوص والأشعات » « ليس هناك داع لأن نحاول التكهن مادامت الأجهزة تستطيع

التحديد أكثر » ، وقمت بآخر لعبة فى جعبتى ، وليتنى لم أفعل كانت نتيجة اللعبة ثلاثة شهور عشتها فى جحيم لا أحد يستطيع تصوره :

— بطلة رياضية كما تعرف وأستطيع تقبل أى خبر بشجاعة ، كما قابلت هزيمتى أكثر من مرة بابتسامة .

كيف خطر لى أن أفكر هكذا ؟ أن أقارن بين هزيمة فى اللعب أستطيع بعدها .. بل حتى فى وقتها أن أمل فى نصر لاحق ، وبين .. بين .. آه .. اننى أحس كما لو أن كل شىء فى حياتى قد انهار فجأة ، وليت ذلك الطبيب الصديق فضل أن يلزم الصمت كالباقين ، لكنى خدعته بشجاعتى المزعومة .. كان من الخطأ فى حق أطباء المستشفى أن أستعين بطبيب من خارجه مهما كانت كفاءة هذا الطبيب وهنا كانت لعبتى .. انه صديق .. ما الفرق بين الصديق والقريب ولماذا لا أقدمه على أنه الأخير .. وزار عزت وفحصه وتبادل الحديث مع أطبائه وبعدها دعوته مع ابن عمه - الذى هو فى نفس الوقت زوج لابنة خالتى - على الشاى .. ووسط عديد من الموضوعات وصلت لهدفى وحاصرته بعد محاضرتى عن الشجاعة :

— أفهم تماما أن نتيجة الأبحاث الجارية هى التى ستحدد مرضه لكن لابد أنك كونت فكرة ما .. لماذا لا تصارحنى بها ؟ ..

واستجاب .. صارحنى .. جدا :

— أشك أنه أصيب بمرض عدا مرضه القديم ، تآكل العضلات .. خطورته أنه من الصعب جدا ايقافه .. ربما أمكن ذلك فى عضلات ذراعيه وكتفيه .. واضح جدا أن المرض انتقل اليها هى الأخرى ، لكن تآكلها بسيط .. أما فى ساقيه فقد أحزننى جدا مدى تآكل عضلاتهما ..

أسرعت من فورى الى المستشفى وأخطأت عمدا فى غرفة زوجى لأدخل الغرفة المجاورة وبعدها أسأل الحكيمة عن قاطنها الذى كنت

رأيته أكثر من مرة على كرسيه المتحرك وذراعاه جلد على عظم .. ليس كما نقولها مجازا رمزا للهزال .. لكنهما كانتا فعلا عبارة عن عدد من العظام تغطيها قطعة من الجلد .. وهزت رأسها :

— مسكين .. عنده تآكل فى العضلات .. مرض خبيث يسبب ضمور العضلات شيئا فشيئا حتى تتآكل تماما ، ولا أدرى يومها كيف عدت الى منزلى .. أويت الى فراشى لكن النوم كان مطلبا عزيز المنال .. حتى غزا عينى أخيرا .. للحظات .. ثم رأيته أمامى .. واضحا كل الوضوح : كرسى ذو عجلات .. وانطلقت صرختى تشق سكون الليل ، بعدها .. تعود الظهور أمامى كلما فتحت عينى أو أغمضتهما .. كلما تحدث معى شخص فى أى موضوع ، الشغالة تقول بمرح « رأيت عند الصائغ حلقا جميلا .. عندما يأخذ البك النجمة القادمة لن أقبل فستانا كالمرة السابقة » وأراه أمامى .. الكرسى .. ذا العجلات ، طفلتى تقول « عندما أتزوج سأتأبط ذراع بابا أولا ليقدمنى لعريسى .. كبطلة هذا الفيلم » الكرسى ذو العجلات .. ابنى الأصغر يؤكد « فى الصيف القادم سأسبق بابا فى السباحة » الكرسى ذو العجلات .. الأكبر يشير للتليفزيون « رقصتك انت وبابا المفضلة .. التانجو . متى تتقدمون لترقصا الجيرك أو التويست ؟ » الكرسى ذو العجلات . وغيره وغيره .. كل موضوع يختتمه هو كأنه السلام عند نهاية كل حفل ومعه تلك اليد الباردة تعصر قلبى ، عزت يصبح قعيد ذلك الكرسى حبيسا داخله .. لا يتنقل أو يذهب أو يجىء إلا إذا جاء أحد ونقله .. كأنه « شىء » .. عزت ؟ هل هذا معقول .. ؟ ألن نخرج ونعدو ونمرح بعد ؟ بل حتى ذراعاه .. ألن يعود يطوقنى بهما فأحس بسعادة الدنيا كلها فى قلبى ودفء العالم كله يحتوينى لا .. لا يارب .. نعم .. لن يقبل الله ذلك أبدا فهو كريم رحيم .. لكنه قبله لأناس آخرين وهو هو .. الكريم الرحيم .. عموما الطبيب لم يقطع بأن

عنده هذا المرض .. يشك فقط ولم تظهر بعد نتيجة الفحوص .. لكن شكه قوى خاصة مع كل العلامات التى يقول أنه سجلها عليه والتى تصاحب ذلك المرض عادة ولولا ذلك لما صارحنى .. ربما كان مخطئا .. لكنه طبيب قدير عائد لتوه من بعثة فى الخارج حاصلا على أرقى الدبلومات .. متخصصا فى هذا الفرع بالذات ، وأمضى فى الأخذ والرد مع نفسى ليالى بطولها .. كدت أنسى طعم النوم .

كيف سيتحمل عزت ذلك لو حدث ؟ ، كان دائما يضيق بتعثر مشيته ولم يتقبلها الا بصعوبة كبيرة ومشقة بالغة .. ليته يقضى قبل أن يقع له ذلك .. هذا أحسن له فلن يستطيع احتمال هذه الحياة وهو الذى كان أبدا شعلة حيوية ونشاط .. لكن لا .. وجوده أهون .. ويكفى أن أراه وأنظر فى عينيه وأسمع صوته .. يملأ علينا البيت وسأخدمه بجوارحى ، هذه الفكرة الأخيرة هل سببها حبى له أم تعد من ناحيتى انانية .. أقبل أن يتعذب هو ويعيش حياته ممرورا حتى لا أتعذب أنا بنار فراقه ، لم أعد أعرف فى هذه الدوامة ما هو الأفضل له وبأى الأمنيات أثبت وفائى وتضحيتى من أجله .. !

لم يكتف ذلك الكرسى بالظهور أمامى فى فراغ الغرفة لكنه قفز أمامى فجأة يوما على صفحات جريدة كنت أقرأها .. لم أتعود قراءة الاعلانات المبوبة .. لم أكن أبحث عن شىء أريد شراءه .. فما الذى جذب بصرى لذلك الاعلان .. الذى يصف مزايا كرسى متحرك وارد من الخارج على أحدث طراز وبه كافة المستحدثات التى تريح راكبه ، وأخذت أفكر .. هل أذهب وأشتريه ؟ لكن هذا يكون فألا سيئا ولم يقطع بهذا المرض بعد ، وإذا انتظرت .. أليس محتملا ألا تعود الفرصة مرة أخرى بكرسى به أحدث الاضافات ؟

أليس من واجبى كزوجة محبة مخلصة أن أبحث عما سيحتاجه زوجى .. ولو بعد حين ؟

كدت أفعلها .. لم يثنني غير تفكيرى فيما أقوله لعزت عنه .
لم يكن منتظرا أن يستغرق ظهور النتيجة كل هذا الوقت لكن الأقدار أبت إلا أن تزيد عذابى فتأخرت بعض الفحوص خاصة أشعة المخ والأشعة بالصبغة على العمود الفقرى فالمفروض ألا تجرى لانسان عنده ولو درجة واحدة مرتفعة فى حرارته ، وحدث أن أصيب عزت بانفلونزا فتأخرت الاشاعات وبعدها توالت النزلات من شعبية ومعوية وآلام روماتيزمية ، وكلما شفى من احداها وبيتوا على اجراء الاشاعات أصابته الأخرى وأنا على نار .. وهو لا يعرف شيئا .. ويضحك عاليا « أيفعل غيابى عنك كل هذا ؟ »
ليتنى لم أجر خلف الأطباء لأسألهم .. ليتنى تركت الملك للمالك يفعل ما يشاء وقتما يشاء وأسعد أنا بيومى ، ولو علمت ابنة عمى منذ بداية زواجها أنها ستفقد زوجها بعد أعوام خمسة مرت سريعا لحملت الهم وركبها الحزن منذ ليلة الزفاف .. لكن ما أكرم الله أن يخفى أقدارنا عنا .. وهكذا سعدت فى هذه الأعوام سعادةكانت مضرب الأمثال حتى ترملت فجأة فدخل الحزن حياتها ، تبدد منه كثيرا .. ذكريات السعادة الغابرة .. نعم لن أعرف نتيجة الفحوص خاصة لن يكون فى يدى فعل شىء أو تدارك شىء فى هذا المرض بالذات .. إن أنا عرفت ، سأعيش يومى واستمتع به مع عزت فى حياة طبيعية نمرح ونسعد وعندما يحدث شىء - إذا كان مقدرا أن يحدث - أبدأ الأسى . وتذكرت قول أمى « لا أحد يفعل ما تفعلين .. سترين .. لن يكون عنده شىء وسيخرج هو لترقدى أنت .. من كثرة التفكير » ، وأى تفكير .. كنت أحسب مدى تأخره فى الشهور الثلاثة الماضية وأقيس عليها مدى ما سيبقى له واقفا على قدميه .. إذا استمر غزو المرض بنفس النسبة واستمر خط سير حالته مائلا بنفس الدرجة ولم يكن ينقصنى الا أن أستعين بالقلم والمسطرة لتكون الحسبة أكثر دقة ولأتوصل الى مدى ما سيصل اليه حاله بعد

أعوام .. فهل ضمنت عمره أعواما ؟ وهل ضمنت عمرى أنا ؟ .. هل نسيت الله ؟ أليس من المحتمل رغم ما يقول الأطباء أن يتوقف المرض عند هذا الحد ؟ .. أو يتحسن ؟ .. هل يستطيع أقدر علماء الرياضيات أن يحسب وهو يرى حجرا يتدحرج على أرض مائلة متى يقع فى الترعة ؟ أليس محتملا أن يقف فجأة ويكف عن التدحرج لنتوء بالغ الضآلة فى الأرض لم يره ولم يعمل حسابه ؟

رغم وصول تفكيرى الى هذه النقطة فاننى نظرت ناحية اللعبة الصغيرة المعلقة فى مرآة السيارة عندما ارتطمت بالزجاج الأمامى أثر مطب عميق .. لكنى بدلا من منظر اللعبة المعتاد رأيته يهتز أمامى .. الكرسى ذو العجلات .. وشهقت ولم أر إلا متأخرا سيارة النقل تخرج من شارع جانبى .. نعم أذكر الآن ذلك ولابد قد وقعت لى حادثة .. لابد انى قد أصبت .. لحظتها خيل الى اننى انتهيت .. هل كان ذلك بالأمس أو من أيام ؟ .. نعم اننى فى مستشفى لكنها ليست غرفةعزت .. اننى نائمة فى سرير من أسرة المرضى .. نعم لاشك قد أصبت .. أم أننى أحلم ؟ عزت غير موجود ، ترى هل عرفت نتيجة الفحوص ؟ قطعا وإلا فلماذا أتوا بهذا الكرسى الرهيب ؟ ودخلت مجموعة من الأطباء والممرضات قال أحدهم « يبدو أنها أفاقت وابتسم لى آخر قائلا : « صباح الخير .. كيف الحال » ؟ وسألته :

— هل اصطدمت سيارتى بسيارة نقل ؟

— نعم .. والحمد لله أن اصابات الرأس خفيفة .. أما اصابة العمود الفقرى فصعبة بعض الشىء عموما الطب يتقدم كل يوم .. وقد يمكن عمل شىء فيما بعد .. ولكن ..

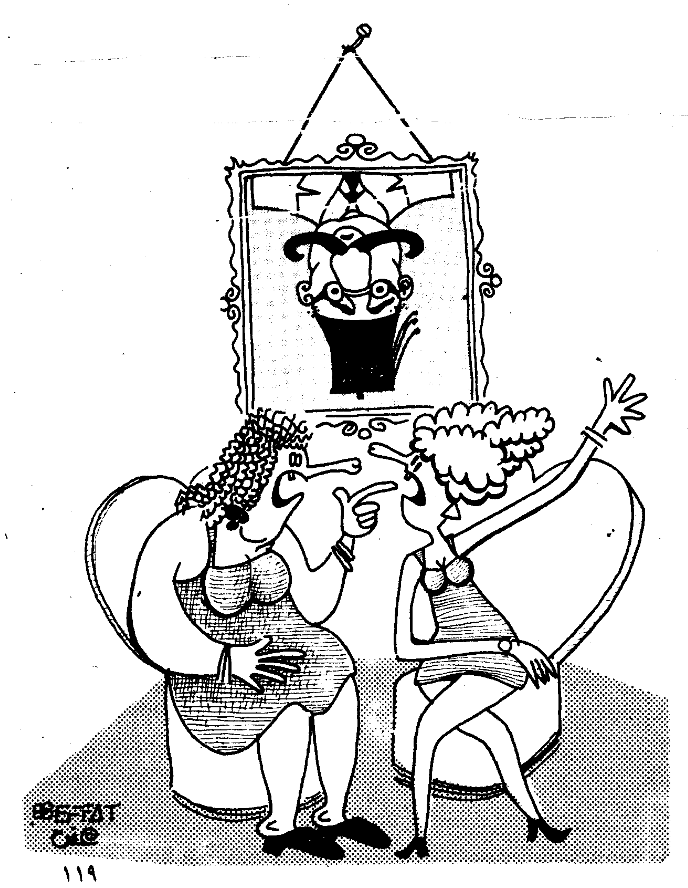
وبذكائى واستنتاجاتى المعهودة قاطعته وأنا أشير للكرسى : ـ تعنى أننى سأستعمل هذا ؟

— مؤقتا .. عموما لك أن تحمدى الله على نجاتك .. لقد نجوت بأعجوبة .. والحقيقة ..

قطع كلامه ونظر الى مبهوتا .. معه حق .. فمن كان ينتظر اننى عندما أسمع كلامه سأضحك هكذا .. انفجرت أضحك ضحكا هستيريا وأنا انظر الى .. الكرسى ذى العجلات ..

● ● ●

موضـوع فخرية فخـرى



● وضعت سماعة التليفون وهى تحس بضيق شديد .. لا ، لم يكن عتاب وكيل الوزارة سبب ذلك الضيق .. وطنت نفسها منذ بداية عملها فى الصحافة ان كتابتها قد تغضب الكثيرين .. ووطنت نفسها أيضا ألا تهتم بغضب أحد مادامت .. مادامت موضوعية فيما تكتب ولكن ..

هل كانت كذلك فى مقالها الأخير ؟

كلمة فى حديث الوكيل هى التى أثارت قلقها .. « اعتدنا منك دائما الاسلوب الهادىء المقنع .. المبنى على المنطق .. مقال اليوم هجوم صارخ بالغ العنف .. فلماذا ؟ بعد انتهاء المحادثة وجهت السؤال لنفسها .. نعم لماذا ؟ .. أخشى ما كانت تخشاه أن يكون انفعالها وليد تأثرها بموضوع شخصى يخصها هى ..

عندما بدأت العمل بالصحافة كانت أشبه بنقطة لم تتضح بعد على أى حرف ستوضع فى كتاب الجريدة التى التحقت بها .. قال لها رئيس التحرير :

— طيلة شهور التمرين .. اكتبى فى أى شىء وكل شىء .. وبعدها سنكتشف نوع الكتابة التى تتفق مع ميولك ومواهبك وامكانياتك ..

بعد هذه الشهور استدعاها ليقول لها :

— رغم نصيحتى لك .. كانت جميع مقالاتك فى السياسة .. ولا أنكر صدق تحليلك وبراعة عرضك .. مع ذلك فاننى أفضل أن تكتبى فى صفحة المرأة أو الطفل .. أو حتى الصفحة الأدبية .. حيث لاحظت فى مقالاتك اسلوبا أدبيا جميلا .. أما السياسة فلا .. !

— ولكن .. لماذا ؟!

— الكتابة فى السياسة تحتاج من المعلق أن يحكم عقله .. والجنس اللطيف دائما يحكم عاطفته ! ..

شهقت مستنكرة : سيادتك تقول ذلك ! .. فماذا تركت للرجعيين ؟!

— ليست المسألة تقدمية أو رجعية .. وانما هى طبيعة المرأة .

— لكن العلماء الذين رصدوا الفروق البيولوچية بين الرجل والمرأة .. لم يجدوا أية فوارق فى تركيب خلايا المخ .. وهى التى تسيطر على التفكير ، ثم دعنى اسألك .. ماذا عن أنديرا غاندى وبندرانيكة وغيرهما ؟

— لا أنكر أن هناك نساء نجحن فى اجتياز طرق شائكة .. لكن لا تنسى أن لكل قاعدة شذوذا .

— ولو اننى أرفض رأى سيادتك إلا اننى - اختصارا للمناقشة - أقول لك .. اعتبرنى من القطاع الشاذ ! ثم انه لن يكون تعيلنا سرمديا .. ووجودك على رأس الجريدة ضمان لعدم نشر أى شىء ترى اننى كتبته عن هوى ..

ولم يندم رئيس التحرير على موافقته على اتجاهها قط . مع الأيام بدأت قدماها ترسخان .. وراح قلمها يثبت وجوده ورغم الالحاح والاغراءات من هنا وهناك رفضت ان تنضم للمؤيدين للحكومة أو المعارضين لها .. حتى لا تضع من هذا الموقف أو ذاك عصابة على عينيها تخفى الرأى الآخر .. عملا بمثل قرأته وأعجبت به « دوام الوفاق نفاق .. ودوام الخلاف اعتساف » .. ومن ثم كتبت عن السلبيات والإيجابيات على حد سواء .. واستطاعت بذلك ان تكتسب ثقة الزملاء والمسئولين والقراء جميعا .. ثقة كانت تزداد باستمرار .. حتى قال عنها أحد الزملاء يوما « أحس كأن مديحه تزن رأيها بميزان الذهب الحساس ! » فماذا حدث اليوم ؟

بدأ الأمر بخطأ صغير من أسابيع ويبدو أن الأخطاء تشبه الانهيارات الجليدية .. يجر أحدها خلفه سواه وسواه ! ثنت بخطأ آخر .. وعلى مايبدو فقد أخطأت اليوم للمرة الثالثة .. لكنه هذا المرة خطأ عام .. على عكس السابقين .. كانا بينها وبين ابنتها فقط .. أى كانت أخطاء بسيطة .. لا .. لا .. الخطأ الثانى كان يمكن

ان يصبح ـ لولا عناية الله ـ خطأ قاتلا ! .. الأول هو الذى كان بسيطا بالفعل .. وأى غضاضة فى أن تقول لابنتها ان مدام فخرية فخرى أرتها أياما من العذاب ! وهى قد قالت هذه الكلمات بلا تدبر ! ..

فى ذلك اليوم جاءت ابنتها تهمس بمرح :

— أرجوك يا ماما أن تتحفينا ببعض الكيك والبتى فور مع الشاى .. فضيفتى زميلة تزورنى لأول مرة .. وهى مستوى هاى جدا .. أنها ابنة المخرج الكبير رجائى حسين ..

وشهقت مديحة : ابنة المخرج رجائى حسين ؟ .. إذن هى ابنة فخرية فخرى ؟

ضحكت نجلاء : ألم أقل لك مستويات ؟ أن أمها من أكبر نجمات ..

قاطعتها بعصبية لم تتعودها : لعنة الله عليها وعلى أمها .. هذه النجمة .. كم حملت من الهم والقلق والغيظ بسببها !!

دهشت ابنتها : هل تعرفينها يا أمى ؟ ..

— لم أعرفها ولا أحب أن أعرفها .. ويكفينى مالقيت بسببها من عذاب ..

انسحبت « نجلاء » الى ضيفتها دون أن ترد ، وعادت « مديحة » بذكرياتها إلى تلك الأيام .. فى بداية اشتغالها بالصحافة .. لم تكن محاولاتها الطموح للوصول إلى مكانة مرموقة فى عملها بالأمر السهل .. أبدا .. بأظفارها شقت الصخر .. بذلت الكثير من الجهد والوقت والعناء .. لا تنكر تشجيع زوجها لها .. لكنها لم تستطع نسيان ذينك الاسبوعين اللذين غابتهما شغالتها لمرضها .. طلب منها بكل حسم ووضوح ان تأخذ أجازة من عملها .. يهتم جدا بالنظافة والنظام لدرجة رأتها تكاد تصل حد الوسوسة ! أيضا يهتم جدا باصناف الطعام والتفنن فى تنسيقها وتجميل تقديمها . كانت « بهانة » شغالة لقطة .. تقوم بكل شىء فى المنزل على أكمل وجه .. حتى لم يحس زوجها العزيز يوما بأى نقص . طبعا لا يكتمل الحلو

أبدا .. لابد من عيب يقابل كل هذه المزايا .. طماعة كانت بهانة ! حديث واحد لم تمل ترديده أبدا .. النعيم الذى تتقلب فيه جارتها وصديقتها وبلدياتها « فاطمة » التى تعمل عند الممثلة المشهورة « فخرية فخرى » .. تعيد فيه وتزيد .. حلل الطعام الملأى بقطع اللحم تأخذها كل يوم الى أولادها عند العودة .. قطع القماش القطيفة والاسموكن التى تحضرها لها كلما عادت من إحدى رحلاتها الفنية .. الهبات والعيديات فى المواسم .. أدوات المنزل القديمة - حتى الكهربائى منها - تتنازل لها عنها .. زيادة المرتب كل بضعة أشهر حتى يصبح الفرق بين مرتبى الشغالتين كبيرا .. وكلما حاولت « مديحة » ان تراضى خاطر شغالتها بزيادة مرتبها جنيهين كانت « فخرية » تزيد « فاطمة » خمسة ! .. وهكذا تزداد الهوة بدلا من أن تضيق .. لا فائدة .. واحدة بالكاد تخطو والأخرى تعدو .. وحديث « بهانة » لا ينقطع حتى أصبح يشكل دقا فوق نافوخ « مديحة » . من ناحية كانت تخشى - بل تشعر بالرعب - أن تتركها « بهانة » إلى إحدى زميلات « فخرية » - مثلا - ولا تجد بدلا منها .. فيؤثر انشغالها بشئون المنزل على عملها . ومن ناحية أخرى لم تكن مواردها تمكنها من مجاراة « فخرية » التى تنهال عليها الافلام والمسلسلات فراحت تغدق بغير حساب . لشد ما كرهتها .. رغم أن الأخرى ربما لم تعلم حتى بوجودها .

قطع تفكيرها صوت ابنتها بعد انصراف زميلتها .

— لم تقولى لى ياماما بم اساءت اليك فخرية فخرى .

ضحكت : أووه .. انه أمر غير ذى بال .

— لكن ياماما .. لابد ان أعرفه ..

هتفت بضيق : لماذا لابد ؟ .. ماذ يهمك أنت ؟ .

— الست ابنتك ؟ .. يؤلمنى ألمك ؟ .. وقد استطيع وقفها عند حدها ..

— كان هذا موضوعا قديما .. أيام وجود والدك .. وكنت وقتها أحاول اثبات وجودى فى الصحافة .. الآن لا تخشى على .

لم تربط « مديحة » أبدا بين هذا الحوار - الذى اعتبرته عابرا - وبين ماراح يطرأ على « نجلاء » من تغيير .. حتى لم تعد « نجلاء » المرحة .. الممتلئة حيوية .. قل أكلها .. وصمتت ضحكاتها التى كانت تغرد فى المنزل الصغير .. أصبحت دائما ساهمة واجمة .. كشخص دلف داخل أعماقه وأغلق الباب خلفه ، ورفضت أن تفتحه حتى لأمها .. كلما خطر لها سبب لما تعانى - مثل التوتر لاقتراب الامتحانات .. أو خلاف مع إحدى الصديقات أو متاعب صحية - كانت « نجلاء » تنفيه ، بل نفت وجود تغيير اصلا رغم وضوحه كالشمس ، حتى جاءها « عمرو » يوما يشكو من « نجلاء » :

— تغيرت كثيرا ياتانت مديحة .. لم تعد ترحب بحضورى .. ودائما تعتذر عن الذهاب إلى النادى للقائى .. فإذا التقينا مصادفة كانت معى فى غاية الفتور ! ..

وظنت « مديحة » انها أخيرا وضعت يدها على سبب تغير « نجلاء » فراحت تعاتبها :

— لماذا لم تحدثينى عما شجر من خلاف بينك وبين عمرو !

وردت ببرود : وما شأنى به أساسا حتى تحدث بيننا خلافات ؟

شهقت مديحة : لكنكما فى حكم المخطوبين .. والاسرتان باكملهما تعرفان ذلك .. عدا اننى حدثتك صراحة برغبة والدته فى اعلان الخطبة فاستمهلتنى حتى تنتهى من امتحان البكالوريوس .

— يبدو أننا كنا متسرعين .. اننى لا أريد الارتباط الآن .. أمل ان يكرمنى الله وأحصل على تقدير .. وحالتها سأستكمل دراستى حتى الدكتوراه ..

— لكن ماذا حدث ؟ .. كنت تحبين عمرو أكبر الحب .. ولو انك لم تقولى لى ذلك ، لكن مشاعرك كانت جلية لا تخفى على الغريب .. فكيف بى أنا ؟ .. لابد أغضبك فى أمر ما .. صارحينى به . فكل شيء

يمكن اصلاحه .. وتهمس ساهمة : هناك اشياء لا يمكن اصلاحها أبدا .. !

ويطول بينهما الحوار .. ويطول « ونجلاء » مصممة على أن شيئا لم يغضبها من « عمرو » .. لكنها لا تريد الزواج على الإطلاق .. إذ لم تعد تثق في جنس الرجال جميعا . وتحت وطأة حصار « مديحة » وضغط اسئلتها تنفجر « نجلاء »:

— إذا كان أبى نفسه .. الذى كنت أراه مثاليا فى كل شىء كان ..

وتقطع حديثها لتصرخ مديحة :

— ماذا تقولين ؟ .. ما الذى تفكرين فيه ؟؟

— يا ماما أنا لم أعد صغيرة .. وعندما تقولين ان فخرية فخرى سببت لك أياما من الهم والعذاب .. فالأمر لا يحتاج لذكاء كبير ؟ !

خبطت على صدرها :

— بابا يانجلاء ؟ .. بابا ؟ ! .. لقد كان أفضل الرجال .. لكن .. ما الذى جعلك تظنين هذا ؟

— جميع القرائن كانت تؤكد ذلك .. ثم ما الغريب ؟ .. ألا نقرأ ونشاهد فى أغلب المجلات وتمثيليات التليفزيون قصص الخيانة الزوجية .. مما يعنى أن هذه هى القاعدة ؟! ..

مازال الذهول يسيطر على « مديحة »:

— أية قرائن تلك التى تتحدثين عنها ؟

قالت بتحد : أولا كيف يمكن ان تسبب لك القلق والعذاب امرأة لم تريها فى حياتك حتى يمكن أن نقول بينكما خلافات ؟

ثانيا : هذه المرأة ممثلة اغراء ..

ثالثا : قولك عن فترة همومك وضيقك منها « كان ذلك فى حياة والدك » .. رابعا وهو الأهم .. سألتك كثيرا عن الموضوع فرفضت الافضاء به .. بل ونهرتنى ، فى تقديرك .. هل يخفى الانسان شيئا إلا إذا كان خطيرا جدا ؟

— أو تافها جدا .. كما سترين ..

تنهدت الاستاذة « مديحة » بعد ان حكت لنجلاء الموضوع بحذافيره .

— خشيت أن أقول لك الاسباب ساعتها حتى لا تسخرى منى فى نفسك لتفاهتها . خشيت ألا تستطيعى تقدير كافة الظروف والأسباب والملابسات التى أحاطت بالأمر حتى جعلت له هذه الأهمية الكبرى أيامها .. إذا كنت أنا نفسى بعد انصرافك فى ذلك اليوم مع صديقتك .. استرجعت الموضوع فرأيت ان المشكلة لم تكن بكل هذه الأهمية قياسا للمشاكل والأزمات التى تعرضت لها بعد ذلك ، لكن الأمر يشبه ارتباط أغنية ما فى ذهنك بحدث سيىء - مثلا - ما إن تسمعيها ولو بعد سنين حتى تحسى بالانقباض فى داخلك .. ماكدت فى ذلك اليوم اتذكر فخرية فخرى حتى عادت لى كل المعاناة القديمة ! ..

— ما أسعدنى بسماع ذلك ياماما .. فأنت تعلمين إلى أى حد كنت أعبد بابا ، بالله عليك .. هل صدقتنى القول ؟

— بل وأقسم لك - والله على ما أقول شهيد - ان كل ما ذكرته صحيح .. لقد كان بابا نقطة فى مصحف .. قضيت معه ما يقرب من ربع قرن ما نظر فيه لأمرأة غيرى أبدا .. وانما كان طواله أحن الأباء وأيضا أخلص الأزواج وأكثرهم وفاء .

اندفعت « نجلاء » تقبل أمها وهى تهتف :

— لا تتصورى ياماما كم ارحتنى لكأنك رفعت من صدرى حجرا أثقل من الهرم الأكبر !!

غمزت بعينيها وهى تنصرف : عن أذنك سأتصل بعمرو ..

مرت أكثر من ساعة و« مديحة » جالسة مكانها - رغم حلول الظلام - وهى تحس كما لو أن دماءها قد تجمدت داخل عروقها ..

تمتمت بذهول :

— كادت ابنتى تتحطم .. بل تضيع .. حمدا لله أن تصارحنا قبل فوات الأوان .

وتمضى أيام . عادت « نجلاء » . لمرحها القديم .. وعادت الحرارة إلى حدوتتها مع « عمرو » بعد طول انقطاع .. نسيت « نجلاء » ماحدث ، لكن « مديحة » لم تنس .. كلما سمعت الضحكات في الشقة تجلجل .. وكلما رأت السعادة فى العيون تبرق ..وضعت يدها على قلبها وأغمضت عينيها وتمتمت :

— الحمد لله ..

فجاة وقعت أحداث مؤسفة أهتمت بتتبعها .. نزلت بنفسها إلى موقع الأحداث لتسجل الحقيقة من جميع الأطراف ، لكن وزارة الداخلية تمنع النشر .. وتغلى « مديحة » .. ليس بسبب منع نشر تحقيقها .. لكن للشائعات التى ملأت البلد .. بعض الإذاعات الأجنبية اذاعت الأحداث بعد ان أضافت إليها ما ضخمها أضعافا مضاعفة . والتقط بعض من سمعوا هذه الاذاعات الأنباء .. فأعادوا روايتها من شخص لآخر .. مرات ومرات .. وفى كل مرة كانت تضاف للرواية بعض التزويقات والمشهيات فى صورة معلومة صغيرة جديدة تضاف للحدث الأصلى ، الأمر الذى سبب توترا بين الناس ..

ولم تتوان « مديحة » فى ابداء رأيها بصراحة .. « لو أعلنت الأحداث التى وقعت كما هى ببيان رسمى لقطع دابر كل هذه الشائعات ولهدأت النفوس بدلا من زيادة اشتعالها » .. وهى لم تكتف بابداء هذا الرأى فى مجالسها الخاصة . كتبت كل ذلك فى مقالها الاسبوعى .. لكن ماكادت الجريدة تصدر حتى حدثها أكثر من زميل مندهشا من لهجة المقال العنيفة .. فجأة ـ وأحد الزملاء يحدثها ـ خطر لها خاطر أزعجها .. هل تأثرت بموضوع فخرية فخرى .. عندما رأت ان أخفاءها أمرا صغيرا كاد يتسبب فى أمور جسيمة ؟ وماذا أكثر من أن تتعقد ابنتها من الجنس الآخر وتفقد

ثقتها به . بل بالدنيا كلها فتنطوى على نفسها حزينة مكتئبة وهى بعد فى هذه السن من ثم بالغت فى نقدها لقرار الوزارة .؟

بعد مكالمات الزملاء جاءت مكالمة وكيل وزارة الداخلية . الذى أبدى دهشته هو الآخر من الهجوم الصارخ الذى حمله مقالها حتى وصل حد الحملة الشعواء ، عقب انتهاء المحادثة وضعت سماعة التليفون وهى تحس بضيق شديد لا .. لم يكن عتاب الوكيل هو السبب . وطنت نفسها منذ البداية ألا تهتم بغضب أحد ، مادامت تكتب ، بموضوعية ولكن . لو أن حظر النشر لم يكن حقا بالخطورة التى تستحق كل ذلك الهجوم .. وانما هى فقط انفعلت بسبب موضوع فخرية فخرى . لكان ذلك خطأ كبيرا .. وبادرة ضعف لا تليق بمن وصلت إلى مكانتها الادبية الرفيعة ، حاولت ان تحلل الموضوع وتزنه .. لكنها لم تستطع أن تخرج من ذاتها تماما ليمكنها الحكم بحياد تام ..

تبلبلت أفكارها حتى باتت تخشى ان تجرها هذه الأخطاء وهى مغمضة العينين إلى أخطاء جديدة ، لذا فكرت ان تعطى نفسها أجازة من الكتابة حتى تستعيد صفاء ذهنها وهدوءها النفسى ..

وهى فى شدة هذا الكرب ... جاءها الفرج .. جاء عن نفس الطريق الذى جاء منه الضيق . التليفون .. كان المتحدث هذه المرة وزير الداخلية نفسه .. الذى قال انه عاد فى ذات اليوم من رحلة خارج القطر .. وطلبها ليعبر لها عن اعجابه بمقالها .. واقتناعه بكل ما جاء فيه ، وتأييده حتى لما حواه من هجوم - يرى انه نابع عن غيرة وطنية شريفة مخلصة فى حب البلد - أخبرها انه يتفق تماما معها فى رأيها عن خطأ سياسة دفن الرءوس فى الرمال بأخفاء المعلومات .. بل وخطورتها ، وشكرها على محاولتها اضاءة الطريق أمام المسئولين بالتوجيه السليم والنقد البناء . هذه المرة وضعت سماعة التليفون وهى تطلق تنهيدة ارتياح طويلة .

● ● ●

الكوب الذى انكسر

طاب لها ، وهى ترتشف قهوتها على مهل ، ان تتأمل الوجوه من حولها فى ذلك المطعم الفاخر الأنيق .. الزبائن أغلبهم كويتيون .. طبعا .. فهذا المطعم معروف بأن أسعاره فاحشة الغلاء .. وباقى الجنسيات تغربوا وجاءوا إلى هذا البلد البترولى للإدخار .. وليس للبعزقة ، هى نفسها .. لولا ان سرقها الوقت لما ارتادته ..

كانت فى آخر جولاتها الشرائية .. ففى الغد لابد من حضورها الحفل الرياضى والثقافى الذى ستقيمه المدرسة بمناسبة انتهاء العام الدراسى .. وبعد الغد ستكون فى الطائرة التى تقلها إلى القاهرة .. بإذن الله ، لذلك استغرقتها المشتريات فلم تنته منها إلا بعد أذان العصر .. ووجدت ان عودتها إلى منزلها ستستغرق وقتا ففكرت ان تتناول غداءها بالخارج ، عادت تجول بنظراتها فى المكان .. على عكس الزبائن لم يكن ضمن الجارسونات كويتى واحد .. لا يعملون فى هذه الأعمال .. أغلبهم فلسطينيون .. وبعضهم مصريون .. عدا واحد يبدو انه لبنانى .. كانت جنسياتهم مطبوعة بوضوح على وجوههم ولكن .. هذا الصبى الصغير .. ما جنسيته .. سحنته تبدو مصرية فقط كيف جاء ؟ فى هذه السن ؟ ..

أحست بغصة فى حلقها وهى تتطلع إليه .. الوحيد الذى لايبتسم .. لم يتعلم التمثيل بعد .. جميع العاملين فى المحل يبتسمون .. لكنها واثقة بأن ابتساماتهم تشبه بعض الأدوية .. من الظاهر فقط .. مثل ابتسامتها تماما !

فجأة قطعت الموسيقى الشاعرية الخافتة ضجة تحطم شىء زجاجى ، ولم تلبث ان تلتها طرقعة صفعات ، والتفتت .. لتجد أحد الجارسونات ينهال على وجه الصبى الصغير ورأسه .. وأسرع ناحيتهما المتردوتيل الذى حادثهما لحظات ثم بدأ ينهال على الصبى هو الآخر بصفعات أشد وأقسى .. حاولت « شويكار » ان تقنع نفسها بأن لا شأن لها بالموضوع .. وان مدير المحل حر فى معاملة عماله مثل غيرها من الموجودين والموجودات .. لكنها لم تستطع ان تصبر أكثر من ثوان .. وضعت بعدها الفنجان بعصبية واندفعت ناحية الصبى وهى تصيح !

— ماذا فعل المسكين لتلحقا به كل هذا ؟

بوغت الرجل ثم سرعان ما تمالك نفسه !

— أوقع الصينية من يده فكسر كوبا ثمنه حوالى نصف دينار ..

— نصف دينار ؟ .. هون عليك يامتر .. واضف ثمن الكوب على حسابى ..

صاح الرجل بغضب :

— ليست الفكرة فى دينار أو دينارين .. لكنها ليست المرة الأولى .. فى البداية لفت نظره ثم عنفته .. ثم حجزت ثمن الكوب من أجره .. لكنه لايريد ان يعتنى بما في يده أبدا .. اننى أضربه لصالحه .. حتى يصحو لنفسه .. فإذا استمر على هذا الإهمال فلن يقبله أحد فى عمل على الإطلاق ..

غمغمت : أنه طفل .. وعندما يكبر سيتنبه ..

— ليست المسألة مسألة سن بقدر ما هى إهمال وبلاهة وعدم مبالاة .. ومثله لايستحق اهتمامك .. أرجوك ان تتفضلى بالعودة

لتكملة غدائك فهناك زبائن كثيرون ينتظرون خلو مائدة ..

بعد عودتها للمائدة طلبت كوبا من الماء .. فاحضره لها الصبى وهو يجفف دموعه .. هشت فى وجهه وأعطته قطعة شيكولاته .. أخذها والفرح يلمع فى عينيه الصغيرتين .. سألته عن اسمه ورد :

— هاشم ..

— هل انت مصرى ؟

— نعم من شبرا ..

— هل أنت هنا وحدك ؟

— معى أمى فقط .. تعمل فى منزل مهندس مصرى .

قالها بذلة وهو يخفض رأسه للأرض .. ثم عاد يرفعه وهو يستدرك :

— لم تكن تعمل طوال عمرها .. هذا العام فقط .. بعد وفاة والدى .. أما طيلة حياتها فكانت تلازم منزلها معززة مكرمة . كان والدى جنديا بالجيش .. جنديا سائقا .. ما كان أعظمه فى ملابسه الرسمية .. لاسامحه الله المجرم الأثيم ..

— الصهاينة ؟ .. هل استشهد فى الحرب ؟ ..

— بل فى حادث .. سائق عربة نقل أطاح بعربته فصرعه .. ليس هو فقط .. وأيضا الضابط الذى كان يركب معه .. ثم فر .. الجبان ، كنت فى المدرسة .. وكنت آمل ان اصبح ضابطا ، لكننى قطعت دراستى وجئت إلى هنا .. وحمدا لله ان حكومتنا تمنع خروج الفتيات .. وإلا كانت أمى احضرت شقيقتى أيضا . لا أهتم بنفسى .. فأنا رجل واتحمل المشاق !..

فجأة التفت ليرى بعض الأكواب الفارغة على مائدة قريبة .. قال بسرعة مرعوبة :

— عن اذنك .. فالمتر قد نبه على بسرعة جمع أى أكواب تفرغ فوق أية مائدة ..

جرى بالصينية وحمل الأكواب بحرص شديد .. واختفى بها إلى الداخل وهو يحاذر فى سيره ما استطاع ، رغم سنه الغضة بدا وكان تجارب عديدة قد أصابت أعماقه وتركت بصماتها داخله وخارجه !

انتهت من طعامها وقهوتها فنادت « المتردوتيل » ليأخذ حسابه .. ومعه منحة سخية مرت لحظات وهو يقف صامتا ثم قال فجأة :

— تعرفين سيادتك .. آخر مرة كسر « هاشم » أحد الأكواب .. وخصمت ثمنها من أجره كما قلت لك .. وطبعا أبلغت ذلك لأمه عند حضورها آخر الاسبوع لتسلم أجره .. هل تعرفين سيادتك ماذا فعلت ؟ .. أعطته علقة أقسى من علقة اليوم أضعافا مضاعفة .. أمه نفسها .

أحست بلهجته وان كان ظاهرها الاحترام .. إلا أن باطنها ملىء بالمؤاخذة والتقريع لكنها رغم ذلك لم تندم على تدخلها .. على الأقل أوقفت المهزلة التى سماها الرجل الضخم تقويما .. ورأتها هى قسوة وجبروتا صارخين .. ألا يكفى أنه وهو فى هذه السن يترك بلده ليعمل فى بلد بعيد ؟ حقا جميع العاملين فى المحل مغتربون أيضا ، لكنهم جميعا كبار ويتحملون مسئولية اتخاذ القرار .. لا يمكن أن تكون هناك شبهة ارغام أو اجبار أو حتى سوق كالانعام ، إنها مثلا .. لم تكن هى التى اتخذت القرار فقط .. بل والحت عليه وحاربت من أجله .. أجل حاربت .. فمعارضة زوجها كانت من القوة بحيث كادت تودى بالمشروع من أساسه ، عندما جاءت تبشره بأن اسمها قد أعلن ضمن المقبولين للاعارة بالكويت .. نظر إليها للحظات بدون فهم .. سأل بدهشة شديدة :

— أى إعارة ؟ .. أين ؟ لمن ؟

— إعارتى أنا طبعا .. وقد قلت لك إلى الكويت .

— ولكن كيف تقبلين .. كيف ومتى رشحت نفسك ؟ .. تعلمين أن عملى كضابط بالقوات المسلحة يمنعنى من السفر معك .

— ومن فكر فى سفرك معى ؟ !

— تسافرين وحدك إذن ؟ !

— وماذا فى ذلك ؟ .. هل أنا طفلة غريرة ؟

— هل انقلبت الدنيا رأسا على عقب ؟ .. كان المفروض ان أسافر أنا .. أقصد الرجل .. وتبقى المرأة ترعى الأولاد .

— لكن هذه نظرة متخلفة .. درست فى كلية الهندسة خمس سنوات .. وكانت لك زميلات فى كل الفروع والتخصصات وبعضهن خرجن فى بعثات .. هل عدنا إلى مقاييس وقيم الجدات ؟؟

— لكن جرى العرف ..

قاطعته : ليذهب العرف الى الجحيم .. إذا لم يحطم المثقفون الأفكار المتخلفة فمن يفعل ؟ .. ثم اننى لن أكون أول واحدة .. زميلات كثيرات سافرن ولم يستطع أزواجهن اللحاق بهن ..

— لكل شخص ظروفه يا شويكار .. كيف تسافرين ؟ .. ولماذا ؟ .. ومن يرعى الأولاد .

— يجب أن نفكر فى الغد .. هذه الشقة الضيقة مثل العلبة بغرفها الثلاث .. هل ستكفينا بعد سنوات عندما يكبر الأولاد ؟ .. نريد خمس غرف .. كيف يمكن ان نجدها فى هذه الأزمة الخانقة ، وقطعة الأرض التى ورثتها عن أبيك .. كيف نبنيها ؟ .. لو ظللت أعمل بمرتبى هذا لما استطعنا ولا بعد عشرين عاما .. بينما لو قبلت الإعارة لمدة عامين فقط لاستطعنا بناء فيللا .. نسكن ببراح ونترك شيئا للأولاد من بعدنا .

لكن سفرك وحدك معاناة ضخمة لك .. فلماذا هذه التضحية ؟

— أنت أيضا ستضحى .. بعد عودتك من عملك بدلا من ان تجدنى أرعاك وأسهر على راحتك ومطالبك ستجد نفسك مطالبا بمراعاة شئون الأولاد .. لكن ما المانع ان نتعب عامين لنرتاح بعد ذلك ؟

لا تنسى أبدا انها ـ رغم قوة منطقها ـ لم تستطع اقناعه

بسهولة .. استغرق منها الأمر أياما واسابيع استعانت فيها بكل اسلحتها المنطقية والعاطفية والأنثوية ، حتى وافق أخيرا على مضض . بعد العامين فاجأته بأنها ستسافر للعام الثالث .. قالت وهى تركز عينيها فى عينيه :

— حقى .. كيف أتركه ؟ .. اننى إذن أكون مجنونة .. من تنتهى مدة اعارته بالكامل يفعل كل ما بوسعه كى يمدها .. وأنا .. أتنازل عن عام ؟!، هذا عدا اننا محتاجون إليه .. وإلا فقل لى .. كيف ستؤثث الفيللا ؟ .. لم اشتر شيئا مثل زميلاتى حيث كنت مضطرة لجمع كل قرش من أجل البناء آه لو رأيت ما أحضرت الزميلات .. ثلاجات وسجاجيد ونجف وتحف .. ديب فريزر وغيره من الأدوات الحديثة .. انا عاملة واحتاج لهذه الأدوات .. خسارة أن يكون كل ذلك متاحا .. وأرفضه .. بل أدوسه بقدمى .. ليست خسارة فقط .. بل حرام !؟

أعادت محاولاتها ليوافق على ذلك العام .. صارحها بأنه يخشى ان تكرر بعده مد الإعارة .. طمأنته :

— تعلم ان الحكومة جعلت الحد الأقصى للإعارة ثلاثة أعوام فقط .. وبعدها لا امكانية للمد على الإطلاق ...

ووافق .. أيضا على مضض وهل كان يستطيع الرفض ؟ .. كانوا فعلا بحاجة لاشياء كثيرة سيكون الحصول عليها دون سفرها متعذرا .. زوجة ممتازة هى ، تفكر بنظرة ثاقبة بعيدة الى كل متطلبات أسرتها ، وأيضا هى مدرسة ممتازة تعمل بكل جد واخلاص .. حتى لقد قدرت مديرة المدرسة كل هذا فطلبت منها البقاء عامين أخرين . ولما اعتذرت بقوانين الوزارة عرضت عليها فكرة الاستقالة والعمل بعقد شخصى ..

لذلك سافرت للقاهرة فى أجازة نصف العام لتحصل من زوجها على موافقته كى توقع العقد قبل انتهاء الدراسة والإعارة . فكرت

انها لو اخبرته بخطاب فسيرفض .. وانه عليها ان تحشد كل حججها مثل المرتين السابقتين ، وفعلا بمجرد وصولها بدأت عملية جس النبض ؟

— خطرت لى فكرة مدهشة لماذا لا نبنى طابقا ثانيا بالفيللا ونؤجره مفروشا ؟ لن يقل دخلنا منه عن خمسمائة جنيه شهريا فكر فى المستوى المعيشى الذى سنحققه لأولادنا ولنفسينا بهذا الدخل .. يمكننى بعدها أن أترك العمل نهائيا .. مادمت سأحصل من الشقة شهريا على ما يقرب من مرتبى فى نصف عام .. والأمر عامان فقط .. يمران سريعا مثلما مرت الأعوام الثلاثة الماضية .. تصور .. شيء لم يحدث من قبل قط .. عرضت المديرة ان يكون مرتبى فى العقد الشخصى هو نفس مرتبى فى الإعارة . هل أرفض؟ انه لجنون ! ..

— بل الجنون أن أقبل ان يظل زواجنا زواجا بالمراسلة كل هذه الأعوام .. تعترفين بنفسك بمعاناتنا .. كلينا .. وتقولين عامين فقط ثم نسعد .. من يدرى كم عاما بقيت فى أعمارنا ؟ ربما كانت هاتان السنتان هما آخر ما بقى لى من عمر .. فكيف اضحى بهما ؟ .. عدا ان الطابق الجديد شيء كمالى لسنا فى حاجة قصوى إليه .. فمرتبانا يكفياننا كى نعيش عيشة لابأس بها .. لا نريد المزيد .. أريدك معى .. ومع الأولاد .. فوجودك معنا أفضل عندى من كل أموال الأرض ..

كان المفروض ان يسعدها سماع ذلك ، لكنها عابت عليه ان يترك التفكير العلمى ليفكر بعاطفته .. فشلت فى ان تحصل منه على الموافقة ، قال لها ساخرا .

— نصحتك المديرة بالاستقالة إذا لم توافق الوزارة على مد الإعارة .. ألم تقل لك أيضا إذا لم يوافق زوجك فاستقيلى من حياتك معه ؟

صاحت : ماذا تقول ؟ ! .. تعرف جيدا اننى استغنى عن عيونى ولا استغنى عنك أبدا .. انت أيضا لن تستغنى عنى أبدا .

وهم يودعونها بالمطار بكت ابنتها الصغيرة وهى تعانقها !

— أكلما جئت تتركيننا مرة أخرى :

وقال الأب وهو يربت كتف ابنته :

— انها اخر مرة .. وعندما تعود بعد شهور قليلة فلن تتركنا ثانية .

وابتسمت وهى تسوى خصلة اطارها الهواء من شعره :

— سنتفاهم فى هذا الأمر عندما أعود فى الأجازة ..

ومد يده يبعد يدها بعنف :

— أى تفاهم ؟ .. عندما سكت اعتقدت انك اقتنعت برأيى وصرفت نظرا عن الموضوع .. عموما هانذا اقولها واضحة صريحة لا لبس فيها .. لن تسافرى بعد نهاية هذا العام هذا قرارى النهائى ولن أرجع فيه أبدا ..

بوغتت بحدته .. وقبل ان ترد نودى على ركاب الطائرة .. فأسرعت تقبل الأولاد .. وزوجها أيضا .. لكنها كانت قبلة باردة للغاية ، فى الطائرة كانت نفسها تمتلىء بالغضب . وكلمات كأنها المطارق تدق رأسها « هذا قرارى النهائى .. هذا قرارى النهائى » كيف يقرر هو شيئا يخصها ؟ .. ماذا يظن نفسه ؟ .. وماذا يظنها ؟ .. ازوجته هى أم جاريته ؟ .. لم تعتد منه هذا الاسلوب من قبل قط .. ليته حدثها به فى وقت آخر متسع .. اذن لاستطاعت ان ترد على كلماته .. تعلنه برفضها أياها .. لكنها سترفضها بطريقة أكثر وقعا .. طريقة عملية ، ضغطت شفتها باسنانها كانت تأمل أن تمد عملها هناك الآن أصبحت مصممة على ذلك . بعد أيام وصلها منه خطاب يفيض بالرقة .. اعتذر لها عن كلمات المطار القاسية بأنه لايريد أن تبتعد عنه مرة أخرى .. ويكفيه ما قاساه فى سنوات الغياب الماضية . للحال تبخر غضبها .. وراحت تقبل الخطاب وتبكى .. مع ذلك عندما سألتها المديرة بعد أيام :

— هل أجهز العقد ؟ ..

ردت بدون أى تردد نعم .. !

قدرت أنها فى فترة الأجازة وفى جو المصيف الساحر .. ستستطيع اذابة معارضته .. مثل كل مرة ! ..

بعد انصراف المتردوتيل من أمامها .. دارت هى برأسها تبحث عن هاشم .. وجدته يختلس النظر إليها وكأنه يتعبد ، فجأة اكتشفت شيئا مدهشا .. نظرته وملامحه تشبه نظرة ابنها الصغير الذى يقاربه فى العمر .. بل وحتى فى الاسم .. هشام ! .. هل لهذا دافعت عنه وتعاطفت معه ؟ .. هل أحس عقلها الباطن بالشبه قبل عقلها الواعى ؟ .

ترى هل تعرض « هشام » للصفع فى غيبتها عنه كما تعرض هذا الولد شبيهه ؟ .. لكن ابنها لا يعمل أجيرا عند أحد .. بيد أن قلبها لايتركها طويلا لاطمئنانها .. يهجس .. الصفع يمكن ان يتوقع لغير الأجراء .. دادته مثلا ربما ضايقها فنفست فيه معاناتها مع الأقدار .. فراش المدرسة إذا مزق بعض الأوراق بعد انتهائه من عملية النظافة .. ابن سائس الجراج الذى يكبره كثيرا جسما وعمرا .. مع ذلك يفرض نفسه عليه وعلى أصدقائه فى بعض ألعابهم .. ومن يرفض منهم لا يسلم من اذاه .. زوجة البواب الحريصة ـ مثل حرصها على عينيها ـ على نظافة وهدوء السلم ، وطبعا والده مشغول عن كل ذلك بعمله الذى يستغرق كل وقته .

جاء « هاشم » يعيد إليها قفازها الذى سقط منها دون ان تشعر ولمحه هو .. مدت يديها وأمسكت بوجهه و .. قبلته .. نظر إليها الولد مدهوشا .. مسكين أنت ياهاشم .. كل عدة أشهر تجد واحدة تشعرك بذرة من الحنان .. للحظات .. ثم تتركك وتمضى لحال سبيلها ؟ .. أعطته قطعة من النقود وخرجت .

فى منزلها جلست تكتب بضعة خطابات لعدد من الأقارب لم تكتب

لهم من سنين .. ثم جمعت مجلات الأسبوع كافة لتقرأها صفحة صفحة .. أخيرا جلست تشاهد التليفزيون .. حاولت ألا تترك نفسها للأفكار ثانية واحدة حتى غلبها النوم !

في اليوم التالى تابعت في المدرسة برنامج الحفل ، وبعد انتهائه ذهبت إلى مكتب المديرة لتوقيع العقد .. فتحت حقيبتها لتخرج القلم .. بينما أخذت المديرة تقلب فى أحد الدوسيهات فجأة ظهرت أمامها صورة زوجها .. كان يقول لها « وجودك معنا أهم عندى من كل نقود الأرض .. من يدرى كم عاما بقيت فى أعمارنا » المديرة تتحدث لكن كلماتها كانت تموت عند عتبتى أذنى شويكار .. ثم تنحشر جثثها فى فتحتى الاذنين فتسدهما تماما .. صورة هاشم تظهر الى جوار صورة زوجها .. كان يجفف دموعه وهو يقول « السائق الجبان قتل أبى والضابط الذى معه .. أمى كانت معززة مكرمة » .. قبل ان يتم كلامه يتعثر وتقع منه الصينية .. الكوب يتحطم . رغم انسداد أذنيها تسمع صوت تحطمه مدويا .. كأنها عمارة تتحطم وليس مجرد كوب .. فجأة يتحول هاشم إلى هشام .. هجم عليه المتردوتيل كى يضربه .. رفعت يدها كأنها تهم بإبعاده فإذا بالجميع يختفون .. أعادت القلم إلى حقيبتها وأغلقتها . مدت المديرة يدها بالعقد فأخذته منها ووضعته جانبا .. وجدت نفسها تقول كلاما لم تعده من قبل .. وكأن داخلها امرأة أخرى هى التى راحت تتحدث :

— أسفة جدا ياسيدتى .. أرسل لى زوجى خطابا ـ وصلنى اليوم فقط ـ يفيدنى فيه بأن والدته قد مرضت مرضا شديدا .. ومن ثم فلن يعود فى استطاعتها رعاية أولادنا ، لذلك فإنه يتحتم على ان أبقى فى مصر .. معهم ، فى الحقيقة لقد أحببتكم كثيرا .. وأحببت العمل معكم .. لكننى لأسفى الشديد لا استطيع .. لا أستطيع .

● ● ●

زهرة فوق القلب

نفس النادى .. ونفس الجزء الظليل .. تحت نفس الشجرة .. مع ذلك يستشعر نفس البهجة ، مع أنه على موعد معها .. مع « أمنية » .. ! أمنية .. كما اعتاد أن يناديها ، فى هذا النادى رآها أول مرة .. وفى هذا النادى أيضا بزغت نبتة الحب فى قلبه وقلبها ، ثم ظلت تنمو حتى كادت تبلغ أشجارها النادى الباسقة طولا ! وتمر الشهور .. هل كانت حقا شهورا ؟ ، لفرط ما مرت سريعا يشعر كأنها كانت ساعات .. ولفرط ما أترع من شهد سعادتها يتخيلها سنوات ، كان يكفيه أن تجلس أمامه ويدها فى يده .. حتى يحس بمئات الأزهار من حوله تتفتح .. وبأنغام سمفونية ملائكية كما لو كانت تزفهما .. فى حين تحملهما نسمات كأنها جاءت من الجنة .. ليحلقا عاليا .. بعيدا عن الأرض .. وكل البشر حولهما .. !!

حب ولا كل الحب .. لا يعتقد أبدا أن آدميين قبلهما أحبا مثل حبهما لا روميو وجوليت .. ولا قيس وليلى .. ولا .. ولا .. ولا .. ليته كان ممن يستطيعون التعامل مع القلم .. شعرا كان أو نثرا .. إذن لما بخل على الناس أن يمتعهم بالاطلاع على مشاعر لم يسمعوا بها ولا حتى فى أكثر الروايات رومانسية ، مع الأسف كل ما بوسعه التعامل معه كان الآلات .. آلات طياراته يمتطيها ويرتفع بها وأحلامه تسابقه فى الإرتفاع .. فتسبقه فى كل مرة .. ليلتقى فيها بأمنية .. وبأعذب الكلمات يتناجيان ..

لم تكن كلمات المناجاة مهمة دائما .. أحيانا كانا يجلسان

بالساعات وقد راحت عيناه تسبحان في بحيرتى عينيها الزرقاوين العميقتى الأغوار .. وتطول السباحة .. وتطول .. لكنه أبدا لا يخشى أن يغرق .. أو حتى يضل طريقه ، عندما تنتهى السباحة .. يعود « جمال » أدراجه يحس أنه قد قال كل ما عنده .. وشرح لها أحاسيسه وخلجاته وأيضا تلقى مشاعرها ومكنونات قلبها بأفصح من أى كلام .. !

شىء آخر غير النظرات كان يشركه فى شرح عاطفته .. فيصول فى ذلك ويجول مترافعا بأبلغ لغة .. زهرة التيوليب النادرة .. التى من أجلها أصبح يسعد بسفرياته إلى هولندا أكثر من أى بلد آخر .. فهو فى كل رحلة إليها كان يحمل إلى أمنية زهرة منها ، رغم جمال الزهرة الرائع .. فقد كانت تزداد جمالا فوق جمال ، حين ترشقها أمنية وسط خصلات شعرها الكستنائى .. الذى يداعبه الهواء فيتطاير بدلال ، ولقد كان يمكن أن ينسى أى شىء ولا ينسى أن يقدمها إلى أمنية .. لتنوب عنه - الزهرة - فى توصيل قبلته إلى شعرها الناعم كالحرير .. إلى أن كان ذلك اليوم .. الذى ذكر لها فيه أمله أن يتوج هذا الحب العظيم بالزواج .. لحظتها توهجت وجناتها حتى أصبح لهما لون الضوء الذى تغلفه ستارة وردية ، لم يكن هناك من هو أسعد منها حتى أجابته حين كرر سؤاله عن رأيها :

— لو لم نكن وسط الناس لألقيت بنفسى بين ذراعيك لتعرف الجواب ! ..

إذن ما الذى حدث بعد ذلك ؟ ..

هل أعلنا خطبتهما ليزيدا سعادتهما أم ليبددا تلك السعادة هباء منثورا ؟ !

تدخلت أمه وأمها فأفسدتا كل شىء ، عرف أيامها لماذا كان مؤلفو قصص الحب الخيالية القديمة ينهونها بأن يختطف البطل محبوبته ويهرب بها فوق حصان أبيض .. قطعا كان الهرب من تسلط الأمهات

والحموات ! .. وليت تلك النهاية حمت ممكنة فى زماننا هذا .. إذن لما تردد أن يفعلها .. ولكن ..

أقبل الجرسون يقدم إليه القهوة .. فأزاحت يده العلبة التى تحوى زهرته الثمينة .. فسقطت على الأرض ، رغم كل الخلافات لم ينس إحضار الزهرة المحببة إليها هذه المرة أيضا .. من يدرى .. ربما كانت رسول الوئام .. فيستطيع بها أن يعيد الهدوء لحياتهما ، لكنه أحس بالتشاؤم عندما سقطت على الأرض .. رغم أن علبتها قد حمتها فلم تصب بسوء .

قطع تفكيره خطوات بجواره .. كانت هى « أمنية » بذاتها .. مع ذلك لم تتفتح أزهار ولا عزفت أنغام وما هبت نسمات .. كانت معها أمها ! الأم بطبيعتها ممتلئة القوام كثيرا لكنها بدت لعينه فى هذا اليوم أضخم وأضخم .. بدأت الأم الحديث :

— قال لنا طارق انك تريدنا اليوم ..

رد بأدب : كنت أريد أمنية .

وارتفع صوتها : إذن أنا « تلقيحة » .. أحاول أن أفرض نفسى عليك ؟ ! ..

— أبدا يانينة .. لا أقصد ذلك أبدا .. لكن ..

قاطعته بتحد : وهل تستطيع أن تقصد ذلك ؟ ! ..

— كنت أريد أن أصفى ما بينى وبين أمنية ..

— ولماذا لا تفعل وأنا معها ؟ أم تراك تريد أن تستفرد بها ؟ .

— أستفرد ؟ ! .. هذا تعبير يمكن أن يستعمل فى صفقة تجارية .. لكنه ليس لائقا بالمرة فى موضوع خطبة ..

— ما شاء الله .. كأنى بك تريد أن تعطينى درسا فيما يليق وما لايليق ، وكان الأولى بك أن توجه دروسك هذه للسيدة والدتك .. التى دخلت النادى منذ أيام .. فإذا بها تتظاهر بعدم رؤيتى حتى لا تبدأ بتحيتى .. ولم أفطن لحظتها لمغزى تصرفها .. فقمت أنا من

مكانى وذهبت إلى مائدتها لأحييها .. وما أشد ما ندمت على ذلك فيما بعد .. !

— وما هو بالله عليك مغزى تصرفها ؟ !

— طبعا تقصد التعالى على .. أو إذلالى .. ما عاشت ولا كانت حتى تفعل !! ..

— تذكرى يانينة أنك تتحدثين عن والدتى .. وليست هذه أول مرة تخطئين فيها فى حقها .. وحقى ..

قالت بتهكم :

— والمطلوب ؟ .

— أظن المطلوب لا يحتاج لسؤال .. فمن يخطىء عليه أن يعتذر ..

— لا .. أنك تحلم .. فالاعتذار واجب على الصغار .. أما فى سنى فمن حقى أن أتصرف كما يحلو لى ! .

ويلتفت جمال إلى أمنية قائلا بسخرية :

— يبدو أن المسرحية التى تدور أمامك الآن تستهويك كثيرا .. حتى أنك لا تنبسين بأى تعليق !

قالت الأم بحدة :

— تريد أن تؤلب ابنتى ضدى ؟

— هذا ليس تأليبا .. تذكرين الخميس الماضى حين أخطأت أمى فى حقك واعترضت أنا على حديثها .

— آه .. لقد دهشت يومها .. لكنى فهمت الآن لم فعلت ذلك .. كى توعز لأمنية أن تعترض بدورها على كلامى ، بل أكاد أجزم أنها كانت تمثيلية متفقا عليها بينكما ، ولكن خابَ فألك .. فابنتى لا تخرج عن طوعى أبدا ..

— شىء جميل جدا .. يا فرحتى بزوجة لم تفطم بعد من رضاعة أوامر أمها ..

خبطت الأم على صدرها :

— كأنى بك تنعى حظك ؟ .. لكن الخطأ ليس خطأك .. وإنما خطأ ابنتى الساذجة التى ترفض عريسا لقطة مثل « شريف » يملك الشقة والسيارة الفارهة والشبكة والدخل الكبير .. من أجل ذلك الوهم الذى تسميه بالحب ! .

— إذن فهذا هو السبب فى محاولتك اصطياد أية هفوة لى .. كى تنقلى العطاء على العريس الغنى ! .

وتتظاهر الأم بالألم الشديد وهى توجه حديثها لابنتها :

— أهكذا يا أمنية .. تقبلين أن أهان هكذا أمامك ؟ .

وتهتف أمنية بخفوت :

— لا يا جمال .. لا أقبل إهانة أمى .. كرامتها قبل كل شىء ! ..

— أخيرا نطقت يا أمنية ؟ .. لتقولى لى أن كرامة والدتك قبل كل شىء ؟ قبل حبنا ؟ بالمناسبة هل تذكرين حبنا يا أمنية .. هل تذكرين وعودنا وعهودنا .. وأمانينا وأحلامنا .. التى سهرنا الليالى فى تشييدها ؟ . أعتقد أن هذه المائدة وتلك الكراسى مازالت تذكر كل هذا !!

— لو أنك تحبنى للدرجة التى كنت تدعيها لحاولت إرضاء أمى .. بدلا من هذا الصدام بينكما كلما التقينا ..

— يشهد الله أننى كثيرا ما حاولت .. لكننى كلما اقتربت منها خطوة .. ابتعدت هى خطوتين ويبدو أنها وضعت لها هدفا لا تحيد عنه .. محاولة التفريق بيننا !

قالت الأم فى صرامة :

— اننى الآن لا أحاول ذلك أبدا .. لكنى أصر عليه .. لانك شخص غير مهذب ! ..

— احتججت يا أمنية انتصارا لكرامة أمك .. فماذا عن إهانة كرامتى أنا ؟ .

قالت أمنية والدموع فى عينيها :

— كنت كفيلة بالاحتجاج على أمى لشدتها معك .. لولا أنك انت الذى استفززتها .

وهكذا .. ظل الخلاف يتصاعد بين الملتفين حول المائدة المستديرة بالنادى ، وعلا جدا صوت الكرامة .. ليخفت كثيرا صوت الحب .. وبدلا من أن ينتهى هذا اللقاء ـ الذى سعى إليه جمال ـ بتصفية الجو بين الخطيبين الحبيبين .. انتهى إلى طريق مسدود طريق غربت عنه السعادة إلى مجهول .. دون أى أمل فى شروق ، وعندما بدأ مذاق كل شىء يضيع ويتلاشى .. قام جمال من مقعده .. قال والأسى يوشى حوافى كلماته :

— وداعا يا أمنية .. لن ترينى بعد اليوم . وعندما تجمعين يوما ما ضاع منك .. ابحثى فيه عنى ! .

ردت أمنية ساهمة :

— انتظر يا جمال .. لتأخذ زهرتك معك ..

قال فى دهشة :

— آخذها ؟ !

قالت بصوت باك وهى تمسح بيدها على شعرها .. حيث اعتادت أن ترشق الزهرة الفاتنة :

— هَل ترى أنه مازالت هناك حاجة لوجودها ؟

— ولم لا ؟ الزهور توضع أيضا على القبور ..

فتح العلبة الأنيقة وأخرج الزهور .. ليناولها إياها .. قال وهو يشير تجاهها باصبعه :

— ضعيها هنا .. على صدرك .. فوق قلبك تماما .. ذلك القلب الذى أصبح قبرا .. بعد أن وسدت داخله .. حبنا الذى كان .

● ● ●



الأول والأخير

فتحت عينيها واستوت قاعدة فى فراشها وهى تحس برأسها يدور كما لو كانت تركب إحدى مراجيح الهواء ، أخذت تتلفت ببصرها محاولة أن تتبين أين هى .. حتى أدركت أخيرا أنها فى غرفتها ، أو الغرفة التى كانت غرفتها قبل أن تتزوج ..

وتساءلت بينها وبين نفسها .. « ترى ما الذى أتى بى إلى هنا ؟ » ولم تجد أحدا بالحجرة فاتجهت بسؤالها إلى الأثاث .. لكنه بدا وكأنه هو الذى يسألها .. لماذا عدت ثانية .. وقد تغير كل شئ ؟ !

لم يكن بالحجرة الكثير من الأثاث .. لكن كل قطعة كان لها فى نفسها ذكريات .. حلوة أو مرة هذه الذكريات ؟ .. لم تستطع أن تقطع بالضبط ، وعادت تدور بعينيها فى الحجرة حتى وقعتا على النافذة ، وحينئذ شعرت بغصة فى حلقها .. لقد عرفتها هذه النافذة بفريد فأفسد عليها أياما كثيرة من حياتها ! ..

كانت نافذته تقابل نافذتها تماما .. ولطالما وقفت قبالتها تستمع إلى حديثه وإشاراته ، وتتلقى رسائله التى كان يكرر فيها دائما طلبه باللقاء فى الخارج .. لكنها كانت ترفض رغم حبها له لكونها من أسرة محافظة ..

هل أحبته حقا ؟ .. لم تعرف إلا بعد فوات الأوان انه لم يكن حبا .. لكنها راحت تعزى نفسها : هل تستطيع أعقل العاقلات أن تزعم أنها قد انتقلت من الطفولة إلى النضج فى قفزة واحدة .. دون أن تمر بمرحلة المراهقة بكل أوهامها وخيالاتها ؟ .. لم يكن غريبا إذن أن تسعدها مغامراته الصغيرة عندما يترصد لها أحيانا أثناء عودتها من المدرسة ليلحف فى طلبه حتى توافقه أخيرا فيصطحبها إلى أحد الكازينوهات .. حيث يروح يبثها حبه ورغبته فى الزواج منها .. وقد عاهدته بدورها على أن تكون له .. لكنها اشترطت عليه عدم اللقاء فى الخارج ، وأن يجتهد فى دراسته حتى يتخرج سريعا ـ وكان قد بقى له عامان ـ فيحققا آمالهما ، تلك الآمال التى كانت مدار أحلامها .. فى يقظتها ومنامها .. كان « فريد » دائما فى كل حلم .. مرة تراه بجوارها فى الكوشة وقد ارتديا ثياب العرس .. وأخرى تراه معها فى حديقة عشهما الجميل .. وثالثة ..

ما كادت تصل فى تفكيرها إلى هذا الحد حتى سمعت صوتا عاليا .. التفتت إلى مصدره فإذا بمكتبها الصغير وقد فتح الهواء بابه بعنف .. لتظل عيناها مثبتتين عليه مدة طويلة .. كأنهما قد شدتا إليه بخيوط غير منظورة .. ! كيف نسيته ؟ ! .. لقد كانت حركة بابه بهذا العنف بمثابة احتجاج منه على هذا النسيان ! .. أجل .. لم تكن أحلامها كلها وقفا على « فريد » .. بل نصفها فقط .. والنصف الآخر لهوايتها التى أحبتها لدرجة الجنون .. تأليف القصص ! .. كانت تقضى الساعات الطويلة جالسة إلى مكتبها تكتب .. وساعات طويلة أخرى تحلم باليوم الذى ستصبح فيه كاتبة مشهورة .. تنشر المجلات إسمها تحت قصصها .. وتتنافس شركات السينما والتليفزيون فى الحصول على قصة منها .. !

كانت شديدة الثقة بموهبتها .. ثقة وصلت حد الاعتقاد بأن قصصها سوف تغير مجرى القصة فى مصر .. ! وراحت تبعث بنتاج

قلمها إلى جميع المجلات .. خاصة مجلة « المستقبل » . لكن مرت الشهور دون أن ينشر لها أى شىء .. وبالتالى لم تغير قصصها مجرى القصة .. وإنما غيرت شيئا آخر .. الرجل الذى يرتدى بذلة السهرة ويجلس بجوارها فى الكوشة !! كانت تظنه سيكون « فريد » .. لكنه كان دكتور « خالد » .. ولعل نوال كانت أول فتاة تكتب قصصا لا تؤهلها لأن تكون كاتبة قصصية مشهورة .. بل تؤهلها لأن تكون زوجة كاتب قصصى وروائى مشهور ! فقد كان « خالد » هو بنفسه رئيس تحرير مجلة المستقبل ..

قابلته لأول مرة فى إحدى المكتبات .. حيث ذهبت لتشترى أحدث كتاب له .. عندما دخل هو بشخصه وطلب بعض الكتب .. تقدمت إليه على استحياء لتعبر له عن إعجابها الشديد بكتاباته .. لكنها مالبثت بعد أن تشجعت أن راحت تهاجمه لعدم رده على قصصها ! .. وما كان أرق ابتسامته وهو يؤكد لها :

— ربما ضاعت فى البريد .. فأنا لم أتسلم شيئا مما قلت .. هل معك الآن بعض كتاباتك ؟ ..

وأجابت بالنفى طبعا .. ولم يفترقا يومها إلا على وعد بأن يستقبلها فى مكتبه بعد يومين ومعها إحدى قصصها . وعندما قرأها أشار ببعض التعديل .. ثم لما عادت إليه بعد التعديل نصح بتعديل جديد .. وكان دائما يشجعها على الإكثار من القراءة والكتابة ، وكثر ترددها عليه .. وفى إحدى المرات نحى الورق جانبا وهو يقول :

— فلنتحدث فيما هو أهم ..

وقالت فى شىء من الاستياء : اننى لا أجد ماهو أهم ..

فاقترب منها وهو يقول :

— لكنى أنا أجد .. اسمعى يا نوال .. رغم اننى كاتب .. صناعتى صياغة الكلمات المنمقة على لسان أبطالى .. إلا أننى لا أجد كلمة واحدة منها أقولها الآن .. ربما ليقينى أن العاطفة التى أحسها

نحوك ليست فى حاجة لتجميل ولا تنميق ! ..

وسكت لحظة كانما يسترد أنفاسه ثم استأنف :

— نوال .. اننى احبك .. وأريد أن أتزوجك .. ما رأيك ؟ .

وعندما رأى الدهشة على وجهها استطرد :

— أعرف أننى أكبرك بعض الشىء .. لكن تأكدى أننى سأكرس كل جهدى ووقتى لإسعادك ..

سكت قليلا منتظرا ردها فى لهفة مشوبة بالرجاء .. وبعد لأى استطاعت أن تنطق كلمة واحدة .

— سأفكر ..

وقد فكرت .. فكرت طويلا .. سبعة أيام بلياليها ، كانت فى حيرة بين املين ، حبها لفريد وهوايتها ، فقد قدرت أنها إذا تزوجت من خالد .. فانه بالطبع سيفتح لها صفحات مجلته .. فينفتح أمامها عندئذ باب المجد .. ثم يأخذ بيدها ويساندها فى الصعود حتى قمته ! ..

اخيرا توصلت إلى قرار .. لكن لم تكن موافقتها على الزواج من « خالد » بسبب خصامها فى الأسبوع السابق مع « فريد » ـ عندما ظهرت نتيجة امتحانه فإذا به راسب هذا العام أيضا .. الأمر الذى دعاها لمصارحته بأن الذى يرغب فى الزواج لا يضيع وقته بهذا الشكل ، وإنما كانت الموافقة ترجيحا للأهم على المهم . كانت فى كل أحلامها من زمان تحس أن أملها الأول والأكبر هو هوايتها للكتابة .. وأن حبها لفريد يأتى فى المقام الثانى ..

ووافقت والدتها أيضا .. رغم أن « نوال » كانت فى التاسعة عشرة و« خالد » فى السادسة والثلاثين .. وقد دخل جسمه فى حرب مع الزمن .. كسب هو بعض مواقعها .. حيث كانت تبدو عليه الصحة والحيوية .. لكن هزمت فيها عيناه واستعانتا بحليف قوى من النظارات السميكة حتى يستطيع الاستمرار فى الحرب .

أما شعره فقد تقهقر أمام الزمن الزاحف ثم تحصن فى أواخر رأسه .. مع ذلك استطاع العدو-التسلل بلونه الأبيض حتى فى داخل هذه الحصون الأخيرة السوداء ! ..

لكن يبدو أن الوالدة ـ وقد ثقلت عليها المسئولية بعد وفاة رب الأسرة الذى ترك لها عدا « نوال » صبيين فى العاشرة والسابعة . كانت ترى أن المركز المرموق والمرتب الكبير خير من الشباب والجمال .. بل ولم تجد مانعاً من التعجيل بالزفاف مادامت العروس الصغيرة لم تستطع بمجموعها المتواضع ـ الالتحاق بكلية الآداب سوى منتسبة ، وهكذا أصبحت « نوال » زوجة للدكتور « خالد » وانتقلت إلى فيللته الأنيقة ..

ومر شهر العسل سريعا .. وبعدها لم تضيع الوقت فعكفت على الكتابة .. كان « خالد » يخرج إلى عمله فى الصباح ، وتسرع هى إلى غرفة المكتب لتقفلها خلفها وتروح تكتب .. ثم تمزق ما كتبته لتعيد كتابته من جديد .. حتى إذا انتهت من إحدى القصص دفعت بها إلى زوجها لينشرها لها بالمجلة .. وكان يبدى بعض الملاحظات وأخيرا يطلب منها كتابة قصة أخرى غيرها .. وكتبت غيرها وغيرها .. لكنه لم يرض قط عن شىء من إنتاجها .. !

تنهدت وهى تستعيد فى خاطرها الظنون التى خامرتها أيامها .. هى الأنانية بلا شك .. ضايقه أن تنشغل بشىء آخر سواه .. لا يريدها أن تولى هوايتها بعض اهتمامها .. بل يريد أن يكون هو محور الاهتمام كله ، طبعا أظهرت له استياءها .. عندئذ وعدها بنشر إحدى القصص بعد أن يصلح من أسلوبها .. وحين عرض عليها القصة بعد التصليح .. لم تجد فيها شيئا من قصتها ! وعندما جاهرته برأيها هذا إذ به يخرج لأول مرة عن هدوئه ليصيح فيها بضيق شديد :

— أرجوك اسمعينى .. كنت أعتقد أنك بعد الزواج ستتعلقين

وتتركين لعب الأطفال هذا الذى تفعلينه .. غير أنى عندما رأيت شدة تعلقك به حاولت كثيرا أن أوجهك .. لكن لا فائدة .. ليس عندك استعداد بالمرة .. لم أكن أود أن أصدمك لكن كان لابد أن تفهمى بنفسك من ردودى عليك أنك لن تكونى قصصية أبدا .. أتفهمين ؟ .. أبدا .. لا تملكين الموهبة ولاسعة الخيال ولا الأسلوب الشائق الجذاب .. هذا الفن لا تصلحين له إطلاقا فلا داعى لأن تتعبى نفسك وتتعبينى معك ! .

كادت تصعق .. كان كلامه كالقنبلة .. أطاحت بكل الأمانى التى أنفقت الليالى الطوال فى تشييدها .. فجلست تبكى ، واقترب منها حيث راح يربت على رأسها بحنان وهو يجفف دموعها ويعتذر .. لكنها صرخت فى وجهه :

— كان لابد أن تصارحنى بكل هذا من أول الأمر .. قبل الزواج .

— وما الفرق ؟ .. ما الذى كان سيتغير ؟

— كل شىء كان سيتغير .. أحب أن تعرف أن مساعدتك لى فى النشر كانت هى السبب الوحيد لزواجى بك ! ..

كان ردها عليه رد المثل .. لمحت آثاره فى امتقاعه وذهوله .. بدا كشخص ضرب على أم رأسه فجاة .. وظل برهة صامتا .. ثم تركها وانسحب إلى حجرته ، أثناء العشاء لم يحدثها إلا الحديث الضرورى .. كان متأثرا جدا مما قالت ، لكنه فى اليوم التالى غير خطته وأخذ يظهر لها حبه ورعايته ..

مضت أيام حاول فيها من جانبه محاولات عدة لكسب حبها .. لكنها أوصدت قلبها دونه .. إذ كان يحز فى نفسها اعتقادها أنها قد خدعت فى هذا الزواج غير المتكافىء ، بعدها كف عن تلك المحاولات لائذا بكبريائه كشخص يشعر أنه قد أهين فى عواطفه ..

من يومها حياتهما أصبحت رسمية .. واتخذت « نوال » حجرة مستقلة لا تبرحها مادامت فى المنزل .. فقد غشى النفور مشاعرها

نحوه .. وراحت تنظر إليه على أنه غرر بها .. فلو أنه لم يعترض حياتها لتزوجت « فريد » الذى أحبته ولحققت على الأقل أملها الثانى .. لكنه كمن يقول عنه المثل « لا منه ولا كفاية شره ! »

وكان كل يوم يمر يزيد الهوة اتساعا بينهما حتى رأت « نوال » أنه لم يعد هناك داع لأن يربطها رباط الزواج برجل تكرهه .. فطالبته بالطلاق .. وما كان أسرع منه بالموافقة متعللا بأنه لا يريد إلا سعادتها .. وقد أدهشتها جدا هذه الموافقة السريعة حتى شككتها فى أن غيابه الطويل بالخارج فى الفترة الأخيرة سببه العمل كما يدعى .. بل رجحت أن هناك حبا جديدا فى حياته .. حقا إن الرجال لا يعرفون الوفاء ! .. وان كان قد أدهشها من « خالد » موافقته بهذه السهولة على الطلاق .. فقد أدهشها من نفسها أكثر ضيقها بهذه الموافقة .. وغيرتها من فكرة وجود حب جديد فى حياته .. إلا أنهما على أى حال حددا يوم الطلاق ..

لكن حدث قبل هذا الموعد بيومين أن مرضت أم « نوال » مرضا شديدا .. وما كاد « خالد » يعلم حتى ألغى كافة مواعيده وذهب مع « نوال » ليعوداها .. قالت الأم من بين آلامها :

— لو أننى مت « يانوال » فأموت وأنا مطمئنة تماما عليك .. خالد رجل بمعنى الكلمة .. لكن الأولاد .. خللى بالك منهم ، خالد .. أنا لن أوصيك على نوال .. كما أرى أنت تضعها داخل عينيك .. لكنى أوصيك على يوسف وحسين .. اعتبرهما أخويك الصغيرين ..

— انت بخير يانينا .. وإن شاء الله ستشفين قريبا .. أما يوسف وحسين فهما أخواى الصغيران فعلا ..

قبل أن تطلب « نوال » من زوجها الموافقة على بقائها بجوار والدتها طلب هو منها ذلك . قال لها وهى توصله حتى السلم :

— طبعا موضوع الطلاق تنسينه نهائيا هذه الأيام .. حتى تشفى والدتك تماما .. لا داعى لأن نحملها المزيد من الهموم ..

طيلة مرض الأم و « خالد » يتردد عليها يوميا .. وازدادت عنايته فعلا بالصبيين وشئونهما ودراستهما .. بعد أيام بدأت صحة الأم تتحسن فطلبت من « نوال » العودة إلى منزلها .. لكنها رفضت حتى تشفى تماما .. وأيدها « خالد » فى ذلك ..

طبعا خلال هذه الأيام كانت ترى « فريد » دائما من نافذتها .. وأخذت تحن للماضى وتذكر أيامه بالحسرة متمنية أن تعود .. وكل إنسان يفشل فى تحقيق أمله الأول يتجه بكليته للأمل الثانى .. لذلك سعدت كثيرا عندما قابلت « فريد » صدفة وهى فى طريقها يوما لإحدى الصيدليات .. حتى راح قلبها يدق بشدة وهى ترد تحيته بابتسامة واسعة .. سألها وهما يسيران متجاورين :

— هل أنت غضبى من زوجك ؟

— لا .. ماما متعبة وجئت كى أرعاها ..

— خسارة .. ظننتك غضبى . أو حتى طلقت .. وعادت لى آمال زمان !!

تنهدت : هل ماراح .. يعود ؟

قال فى حماس : يعود جدا .. لم لا ؟ .. أنا مازلت أحبك أكثر من زمان ..

وأفضت إليه بأن زواجها قد فشل .. وأنها وزوجها بسبيلهما للافتراق ففرح جدا ، وهكذا جددا العهود الماضية .. وتأكيدا لذلك دعاها لنزهة قصيرة يحتفلان فيها بعودة المياه إلى مجاريها بينهما ، وعودة الحياة إلى قلبه .. لكنها أفهمته بأن ضميرها لا يسمح بهذا .. واستمهلته حتى يتم الطلاق .. بيد أن ذلك لم يمنعه من تحيتها كل صباح من النافذة .. كما عادت إليها رسائله الطائرة .. يبثها فيها غرامه . ويشكو لها لهيب النار التى عليها ينتظر تحقيق الحلم القديم .. !

عندما استطاعت الأم مغادرة الفراش .. صممت على عودة

« نوال » إلى منزلها .. وهناك بدأ « فريد » يتصل بها تليفونيا .. رغم مطالبتها الدائمة له بالكف عن ذلك ، وفجأة انقطعت محادثاته .. فشكرت له « نوال » ذلك إذ ظنته استجاب أخيرا لصوت العقل ، حتى حدث أن ذهبت يوما إلى الكازينو .. وقادتها قدماها إلى ركنها المفضل مع « فريد » خلف إحدى الأشجار الباسقة ، لتفاجأ به يجلس مع فتاة أخرى وقد راح يصب في أذنيها كلماته المعسولة .. نفس الكلمات التى كان يرددها لها ، لا تنقص حرفا ولا تزيد .. حتى فكرت أنه ربما يكون قد أخفى فى أحد جيوبه جرامفونا سجل على اسطواناته هذه الكلمات !

وأحست كأن خنجرا قد أغمد فى قلبها .. لكن لدهشتها لم يقتلها هذا الخنجر .. وحتى لم يجرحها .. بل لقد شفاها .. كأنه مبضع جراح ماهر .. استأصل به الوهم من قلبها .. وأزال الغشاوة عن عينيها .. فاستطاعت أن ترى « فريد » على حقيقته : وتعرف حبه المزعوم لها على حقيقته أيضا . بل وأدركت أنها أيضا لم تكن تحبه .. وإلا لما قابلت خيانته لها بهذا الاستخفاف ! .. أكثر من هذا تأكدت أنها لم تحبه يوما .. وإلا لما تركته بسهولة إرضاء لهوايتها .. إذن لم يكن حبها له فى الماضى أكثر من لعب أطفال .. وفى الحاضر أكثر من محاولة لتضميد كرامتها .. !

الحق أنها ساعتها كفرت بالحب كله واعتقدت أنه ليس أكثر من لهو وعبث .. لكنها عادت وأدركت مدى خطأ هذا الظن عندما استرجعت تصرفات « خالد » معها عندما أحبها .. لم تكن لهوا وعبثا قط ، وإنما كانت دليل حب صادق .. من قلب مخلص .. لقد طلب منها الزواج فى ذات اللحظة التى صارحها فيها بحبه .. لم يغرقها بكلمات الحب والغرام وإنما أغرقها بحنانه ورعايته .. لم يكن يردد لها كثيرا أنه يحبها .. لكن اهتمامه بأمورها ومحاولاته الدائمة لإسعادها كانت تؤكد ذلك .

قالت لنفسها يوما وهى تجفف دموع الندم « ما الفائدة من إدراكى ذلك الآن بعد أن قررنا الانفصال ؟ .. خير لى أن أرتب أمورى على أساس الحياة وحيدة .. بعيدا عن خالد .. وهذا هو جزائى على إعراضى عن حب كبير وتهافتى على حب رخيص » ، وإن كانت قد حاولت أن تبرىء نفسها أمام ضميرها ، وتقنعه أنها لا تستحق هذا العقاب .. بأن ترجع هذه التصرفات لصغر سنها وقلة تجاربها ، أجل .. أصبحت تعتبر حياتها بدون « خالد » عقابا يوقع عليها ، فقد ظلت طوال أيام تحاول أن تبحث عن أى شىء يكرهها فى الحياة مع خالد أو يزين لها البعد عنه .. عبثا .. فكلما حاولت تذكر بعض نقائصه أو إساءاته لم تجد .. على العكس كان كل ما تذكرته يزيدها اقتناعا بنبله وكرم معاملته .. كم دللها ! .. وكم حاول استشفاف الأشياء التى تسعدها فيفاجئها بها .. والسهرات التى تحبها فيصحبها إليها .. والزهور التى تفضلها فيحملها لها ! وكانت هى تقابل كل ذلك منه ببرود .. وكم احتمل من سخافة تصرفاتها معه .. وكلما تذكرت ذلك ازداد علوا فى نظرها .. وازدادت حزنا للنهاية المؤسفة التى سينتهى إليها حبهما .. فقد أدركت أنها هى أيضا تحبه بكل نبضة فى قلبها الصغير .. ليس فقط بعد اكتشافها لخداع « فريد » .. بل من بداية حياتها معه .. عرفت ساعتها فقط لماذا تألمت لموافقته السريعة على الطلاق .. ولماذا كانت تنتظر بلهفة موعد زيارته لوالدتها أثناء مرضها .. ولماذا تناست تذكيره بموضوع طلاقهما بعد عودتها لمنزلها رغم إلحاح « فريد » .. السبب هو الحب ولا سواه .. لكن يبدو أن العناد والمكابرة قد أعمياها فلم تستطع أن تدرك حقيقة عواطفها .

بعد تأكد « نوال » من مشاعرها تجاه « خالد » .. وأن حياتها بدونه ستكون عذابا متصلا .. أصبح أملها الجديد منحصرا فى محاولة استرجاع حبه لها .. وكان هذا ثالث أمل لها لكنه أول أمل

يقوم على الحقائق وليس على أوهام .. وآخر أمل تستطيع التعلق به .. فلو تحطم هو الآخر لتحطمت حياتها كلها ولم يعد لها ما تؤمل فيه ! من ثم أخذت تحاول جاهدة أن تظهر له حبها ورعايتها لأموره ، ورغبتها فى عودة الوئام بينهما .. لكنها لم تفلح فى ذلك قط .. فلم تتغير معاملته لها .. معاملة مشوبة بالرقة لكن بتكلف وتحفظ ، كما ظل يعود إلى المنزل متأخرا كل ليلة .. ويتجه إلى حجرته مباشرة ، متجاوزا حجرتها رغم رؤيته النور مضاء بها ، بل حدث يوما أن انتظرت عودته فى الصالة .. فما أن رآها حتى بدا عليه الاهتمام وسألها عما إذا كانت مريضة حتى يستدعى طبيبا .. ولما نفت ذلك غادره اهتمامه وحياها تحية المساء .. وذهب إلى حجرته .. !

أكثر ما كان يعذبها أنها لا تعرف بالضبط السبب فى عدم تجاوبه معها .. هل لم يفهم محاولاتها بعد ؟ .. أم فهمها لكنها جاءت بعد فوات الأوان .. بعد أن مات حبه لها أو بعد أن تعلق بحب آخر ، .. لم يكن فى استطاعتها ترك التلميح لتصرح له بعدولها عن فكرة الطلاق مع الاعتذار عن تصرفاتها وليدة الطيش خشية أن يكون هو الذى أصبح متمسكا بالطلاق ..

فجأة بعد أسابيع من الانقطاع .. عاد « فريد » للاتصال بنوال تليفونيا أكثر من مرة فى اليوم الواحد .. وقد رفع من حرارة كلماته درجات .. لكنها كانت تبادر بقطع الاتصال بمجرد سماع صوته .. وأخيرا حضر بنفسه لمقابلتها بكل صفاقه .. ورغم دهشتها البالغة لتصرفه فقد قابلته ، لتطلب منه بكل برود ألا يعود لمضايقتها حيث هى تريد العيش بسلام مع زوجها الذى لم ولن تحب سواه طوال عمرها .. وعاد هو يتوسل وهى لا ترد .. فقد كانت تسأل نفسها بدهشة .. كيف أحبت يوما هذا الفتى التافه « المسبسب » شعره كالبنات ؟ .. وأخيرا خلع آخر قناع كان يغطى وجهه .. طلب منها أن تستخدم دلالها لدى زوجها ليمنحه الوظيفة الخالية بالمجلة والتى

أعلن عنها من أيام .. قالت فى ذهول :

— وهل تتصور اننى يمكن ان افعل .

— لا تنسى أن حبى لك كان السبب فى انصرافى عن دراستى ، فلا تستبعدى أن ألجأ لتدمير من تسبب فى تدميرى .. فلماذا تظنين زوجك فاعلاً إذا ما عرف بخيانة زوجته ربة الصون والعفاف ؟

— اخرس .. تعلم جيدا أنه لم يكن بيننا سوى نظرات عبر النوافذ ومحادثات بالتليفون ، ومقابلات لم تتعد أصابع اليد الواحدة فى الكازينو ..

— ما أعرفه شىء وما أستطيع قوله شىء آخر .. لستما فقط اللذين تستطيعان تأليف القصص . بوسعى أنا أيضا أن أؤلف له قصصا وروايات عن علاقات كانت بيننا .. لذا أنصحك أن تكونى عاقلة ولن يكلفك الأمر أكثر من طلب بسيط ، وهو طبعا يتمنى طلباتك !

صرخت فيه : اخرج بره .. اقترب منها ليمسك بذراعها وهو يقول بتوسل :

— ألا تستحق سنوات الحب الطويلة أن تنفذى لى هذا الأمر الصغير وأعدك ..

فى هذه اللحظة دخل « خالد » الحجرة ليقول لفريد بكل برود :

— أظنك سمعت جيدا الهانم وهى تطردك من المنزل .. ماذا تنتظر ؟ !

وخرج « فريد » ذليلا فى حين ذعرت « نوال » .. فماذا سيظن « خالد » بها ؟ .. أحست بالأرض تدور بها وكأن هذا آخر ما وعت قبل أن يغمى عليها .

لم تكن « نوال » بحاجة لذكاء كبير لتتكهن بالفصل الأخير من الرواية والذى حدث بعد إغمائها .. إذ ماذا يمكن أن يدل عليه وجودها فى منزل أسرتها بعد أن دخل « خالد » غرفة الصالون فجأة

ليجدها مع « فريد » ؟ . قطع عليها استرسال خواطرها دخول والدتها فما كادت تراها حتى سألتها :

— ماما .. ما الذى أتى بى إلى هنا .. ؟ هل طلقنى خالد ؟ ..

— طلقك ؟؟ .. كيف ؟ .. لكن غريبة ـ أنت اليوم ـ والحمد لله ـ تتحدثين جيدا ولا تهذين . !

— أهذى ؟؟ ..

— نعم .. لك الآن ثلاثة أيام وحرارتك مرتفعة .. وطوال النهار تخطرفين .. من يوم أن أغمى عليك فى منزلك وقال الدكتور إنك تعانين من حمى ، خالد كان يريد إحضار ممرضة لتلازمك .. لكننى صممت أن أرعاك بنفسى .. ولذلك أحضرتك هنا لانه لم يكن باستطاعتى ترك يوسف وحسين وحدهما ..

وتسأل بصوت أقرب للهمس :

— وهو .. ألم يحضر للسؤال عنى ؟

— كيف ذلك ؟ .. إنها أول مرة يتركك فيها اليوم لأمر هام .. إنه يحضر كل صباح ليتولى كافة طلباتك من طعام لدواء لكمادات .. حيث إننى أسهر معك طوال الليل .

— غريبة اننى لم أشعر بشىء من ذلك إطلاقا .. لكنك تقولين اننى كنت أهذى .. فماذا كنت أقول :

— كان كلامك غير مفهوم فى أغلبه .. أحيانا تقولين لى هذا أملى الثالث .. وأحيانا تقولين أنا بريئة فلا تحكم بالظواهر ومرة تقولين هذا الولد كذاب .. ودائما تقولين لم أحب سواك يا خالد .. لكن ما معنى هذا الكلام .

— ليس له أى معنى .. كما قلت خطرفة ـ لكن ـ خالد ـ هل سمعنى وأنا أردد هذه الكلمات ؟

وقبل أن ترد يدق الجرس و .. يدخل « خالد » ، لتبدو على وجهه الفرحة العارمة لشفاء « نوال » .. ولا يكاد يجلس بجوارها حتى

تبادره بقولها :

— أقسم لك ياخالد .. لم يكن بينى وبين فريد أى شىء .. قاطعها وهو يطرق رأسه :

— لقد سمعت حديثك معه .. سمعت أوله مصادفة أثناء دخولى لآخذ حقيبتى لسفرية عمل .. طبعا لم يكن يليق أن أتسمع من وراء الباب لكنى اضطررت عندما سمعتك تصيحين ..

وصمت .. وراح ينظر إليها فى حين كان عدد من الأسئلة يتصارع داخل أعماقها .. لكنها أغلقت فمها دونها جميعا .. كانت تتساءل « ترى هل صدقنى حقا .. هل سمع حديثى عن أملى الثالث .. ؟ وهل فهم .. ؟ وإذا كان قد فهم فهل جاء هذا الفهم فى وقته .. ؟ أم فات الوقت .. ؟ ترى هل سيتحقق هذا الأمل .. ؟ هل سامحنى .. ؟ هل نسى فكرة الطلاق .. ؟ هل .. هل .. مازال يحبنى كما كان فى بدء زواجنا .. ؟ أم أن حبه قد فتر .. ؟ »

وبرغم أنها لم تتكلم .. فقد عرفت الرد على أسئلتها جميعا .. عندما كانت شفتاه فى طريقهما إلى فمها فتوقفتا قليلا بجوار أذنها لتهمسا فيها بصوت حنون :

— أحب أقولك يانوال .. أن أملك الثالث هو أملى الأول والأخير .

● ● ●



كتاب اليوم

أنشأه

مصطفى أمين وعلي أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة :

طلعت الزهيري

العدد ٢٨٧ صفر ١٤٠٩ هـ

اكتوبر ١٩٨٨ م

تشرين الأول

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشـــتراكات

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ١٢ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد

العربى والافريقى ١٥ دولار امريكي اوما يعادله

باقى دول العالم واوربا

والامريكتين واسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكي اوما يعادله

- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٦ ١ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

اسعار كتاب اليوم في الخارج

البلد	السعر		البلد	السعر		البلد	السعر		البلد	السعر	
المغرب	١٥	درهم							إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
لبنان	٣٥٠	ليرة							هولندا	٥	فلورين
الأردن	٦٠٠	فلس							باكستان	٣٥	روبية
العراق	١٥٠٠	فلس							سويسرا	٤	فرنك
الكويت	٧٠٠	فلس							اليونان	١٠٠	دراخمة
السعودية	٧	ريالات							النمسا	٤٠	شلن
السودان	٣٠٠	قرش سودانى							الدنمارك	١٥	كرونات
									السويد	١٥	كرون
									الهند	٣٥٠	سنتا
تونس	١٤٠٠	مليما	سلطنة عمان	٦٠٠	بيسة	الامارات	٦	درهم	كندا امريكا	٣٠٠	سنت
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما	غزة	١٠٠	سنت	قطر	٦	ريالات	البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
سوريا	١٤٠٠	ق.س	اليمن	٨٠	بنى	انجلترا	٢٠٠	بنى	نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
الحبشة	٦٠٠	سنت	الصومال نيجيريا	٨٠	بنى	فرنسا	١٠	فرنك	لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
البحرين	٨٥٠	فلس	السنغال	٦٠	فرنك	المانيا	٥	مارك	استراليا	٤٠٠	سنت

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٥٠٤ / ٨٨

الترقيم الدولى ٢ - ٢٦٥ - ١٢٤ - ١٩٧٧ ISBN